من أصول اللهجات العربية

في السودان

دراسة مقارنة في اللهجات العربية القديمة وآثارها في السودان

الأستاذ الدكتور
عبد المجيد عابدين
أستاذ الأدب العربي
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٩





دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

من
أصول اللهجات العربية
في السودان

« دراسة مقارنة فى اللهجات العربيـة
القـديمة وآثارها فى السودان »

بقلم

عبد المجيد عابدين

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

مقدمة

لا جدال فى أن اللغة الفصحى هى سيدة اللغات واللهجات السامية كلها ، تتبوأ منها أعظم منزلة وأرفع مكان . ولكن إلى جانب هذا تقف حقيقة أخرى ، وهى أن اللهجات العربية قديمها وحديثها تمثل نماذج شتى لها كيانها وتاريخها . وكل منها جدير بالبحث والدراسة . وليس بصحيح مايتوهمه بعض الناس من أن اللهجات الحديثة أو الدارجة التى يتكلمها العرب فى شتى أقطارهم ، ومن بينها اللهجات العربية فى السودان ، صور ممسوخة من الكلام ، ليس وراءها ماض عتيق ، ولا أصل عريق . فمن المحقق أنها سلالات للهجات عريقة فى عروبتها ، عميقة فى دلالتها على تراثنا الأثيل . ودليلى هذا الكتيب المتواضع الذى أقدمه اليوم بين يدى القارىء .

وإذا كنا قد حرصنا فى هذا الكتيب أن نرد الفروع إلى أصولها ، فمن سياق القياس، بل من أداء الواجب ، أن نرد الفضل فيه إلى ذويه . فكثير من المواد التى جمعتها فى هذا الكتيب إنما يعود الفضل فيه إلى أبناء القطر العربى الشقيق . السودان ، فالبهم خالص الشكر على معونتهم الصادقة .

وأود أيضاً أن أسجل شكرى للأستاذ سليمان خاطر مدرس الخرائط بجامعة القاهرة فرع الخرطوم لعنايته برسم خريطة الجزيرة العربية الواردة فى الكتاب (ص ١٥) .

كما أشكر السيد محمود الشبكشى وعمال مطبعته على إنجاز طبع الكتاب فى دقة وفى وقت وجيز .

ولما كانت الكتابة التقليدية وحدها لا تكفى لضبط ألفاظ اللهجات ضبطاً مطابقاً للمنطوق ، فسيجد القارىء فى شواهد الكتاب علامات خاصة آثرنا وضعها لتقريب بعض الألفاظ - ما أمكن - إلى الصورة المنطوقة(١). وفيما يلى بيانها :

(١) علامة خاصة بالإمالة وهى : (‿ = e) وتوضع تحت الصوت الممال . وتنطق كما تنطق الـ e فى الكتابة اللاتينية . مثال ذلك : بيت .

(٢) علامة خاصة بالضمة وهى (ٓ = o) وتوضع فوق الصوت ، وتنطق كما تنطق الـ o فى الكتابة اللاتينية . مثال ذلك: فوق

(٣) القاف التى تنطق كما تنطق الـ g فى الكلمة الإنجليزية go يرمز لها برسم القاف بنقطتين تحته هكذا : ڨ مثال ذلك : ڨال (قال) .

والله ولى التوفيق ؟

عبد المجيد عابدين

---

(١) مستفادة من الطريقة التى اقترحها الدكتور خليل عساكر فى بحث نشر بمجلة المجمع اللغوى (العدد الثامن) بعنوان (طريقة لكتابة نصوص اللهجات العربية الحديثة بحروف عربية) .

تمهيد

إلى أى حد يستطيع الباحث أن يرد لهجة عربية حديثة إلى عناصرها التاريخية ؟ ربما خطر مثل هذا السؤال للذين يبحثون فى تطور اللهجات العربية الحديثة ومدى ارتباطها بلهجات أقدم منها كتلك التى تكلم بها العرب فى مهدهم الأول فى شبه الجزيرة العربية .
ولابد فى قضية كهذه أن يضع الباحث فى اعتباره عدداً من المسائل :

(ا) منها أن الباحث ليس له أن يطمع فى أن يجد لهجة حديثة تطابق تمام الانطباق على لهجة أخرى معاصرة لها أو أقدم منها ، إذ أن كل لهجة لابد أن تخضع لعمليات « خاصة » تتعرض فيها لعوامل البيئة حقبة طويلة ، وتمتص فى خلالها عناصر مختلفة وأصولا متعددة .
ولكل لهجة نتكلمها الآن تاريخ بعيد ، وهى مزيج « متداخل » من العناصر التى تواردت عليها مع الجماعات التى وفدت إلى كل قطر ، وقد تعرض الوافدون لمخالطة من سبقوهم ومن جاوروهم من العرب وغيرهم ، من طريق الحلف أو الولاء أو المصاهرة أو الغزو أو العمل المشترك . فنتج من ذلك أن تداخلت عناصر من لهجات متعددة للعرب وغيرهم ، وتألفت منها على مر الزمن صورة متطورة مركبة ، لها

طابع خاص ، تختلف قليلا أو كثيراً ، عن الصور المعاصرة لها التى تطورت فى بيئات أخر ، وعن الصور الاولى التى حملها العرب الاولون إلى مهجرهم الجديد . والتداخل بين اللهجات عملية مستمرة فى مراحل التطور اللغوى ، وهو مرتبط أشد ارتباط بما كان يحدث من تداخل واتصال بين الجماعات الطارئة والمستوطنة .

وعلى هذه الطريقة تشكلت اللهجات العربية الحديثة فى السودان ، فكل لهجة منها مزيج من عناصر شتى ترجع إلى عديد من اللهجات التى حملها العرب معهم إلى مهاجرهم فى السودان، والمؤثرات المحلية التى صادفتها . ولا سبيل إلى الزعم بأن هناك لهجة معينـــة من لهجات السودان الحديثة تطابق فى جميع ظواهرها اللغوية لهجة أخرى قديمة كانت أو حديثة .

(ب) ومنها مسألة تتعلق بتخطيط المادة اللغوية التى تستخدم فى بحث كهذا . فعلى الرغم من أن اللهجات الحديثة متداولة على ألسنة الناس ، وفى متناول من يريد دراستها ، لا نزال فى معظم الاقطار العربية بحاجة ماسة إلى إحصاءات دقيقة ، وأطالس لغوية ترسم توزيع لهجات كل إقليم على مختلف بقاعه ، وتبين نوع الظاهـــرة اللغوية ، ومواقع انتشارها على هذه البقاع. وعندما يتاح لهذا العمل أن يتحقق على أسس علمية ، نستطيع أن نتوصل فى دراساتنا المقارنة إلى نتائج أكثر دقة وشمولا .

وإلى الآن لم يتحقق من هذا العمل، في تخطيط اللهجات العربية الإفريقية عامة، والسودانية بنوع خاص، إلا محاولات جزئية، وبعضها لا يعتمد على أساس علمي دقيق. فقد سبق أن اقترح الباحث الانجليزي «هليلسون» أربعة نماذج متمايزة من اللهجات العربية الحديثة في السودان وهي: لهجة شمال السودان (ومنه إقليم بربر والمناطق التي تتكلم العربية في دنقلة) — ولهجة أواسط السودان (ومنها أم درمان والجزيرة والبلاد الواقعة شرقي النيل الأزرق) — ولهجة غرب السودان التي تضم في نطاقها النيل الأبيض وكردفان ودارفور باستثناء لهجة البقارة التي تؤلف القسم الرابع والأخير(١). ولكن هذا التقسيم يعتمد غالباً على ملاحظات عابرة تعوزها الدقة والشمول. وهناك بعض الكتاب السودانيين تناولوا عدداً من المفردات والأمثال والظواهر اللغوية الموجودة في اللهجات السودانية، وقارنوها بنظائرها من شواهد اللغة الفصحى، على نحو ما صنعه الأستاذ عبد الله عبد الرحمن في كتابه «العربية في السودان»، وهي محاولة تجرى على النمط التقليدي، وللمادة التي جمعها المؤلف فائدة للباحثين، ولكنها قلما اعتمدت على منهج علمي منظم. ثم وجدت دراسة اللهجات السودانية طريقها إلى الرسائل الجامعية، فقدم الدكتور عبد الحميد طلب إلى جامعة القاهرة، منذ بضع سنوات، رسالة في لهجات منطقة الجزيرة (الواقعة بين

---

(١) Hillelson: Sudan Arabic Texts (Cambridge 1935) p. XV

النيلين الأبيض والأزرق) تحت إشراف الأستاذ الدكتور خليل عساكر ، وهى تطابق منهجاً علمياً ، وتقتصر على دراسة لهجات عدد من المدن القائمة فى تلك المنطقة .

على أننى لا أحسب أن من مقاصد هذا البحث الذى أقدمه اليوم ، تخطيطاً شاملا يستوعب اللهجات الحديثة فى السودان ، أو العربية القديمة ، ولا حصراً للظواهر اللغوية فى لهجة معينة أو عدد من اللهجات ، وإنما يستهدف أولا وقبل كل شىء — من طريق المقارنات اللغوية والدراسة التاريخية - دراسة بعض السمات العامة للهجات العربية القديمة ، وبيان ما أثر منها فى لهجات السودان التى يتكلمها السودانيون فى الوقت الحاضر . وقد حصلت على مادة هذا البحث مما جمعته من شواهد فى خلال سنوات إقامتى بالسودان منذ ١٩٤٧ إلى يومنا هذا ، ثم من تلك المدونات التى أشرت إليها ، وغيرها مما ذكرته فى مواضعه من هذا البحث .

(ح) ثم هناك مسألة لا تقل أهمية عن سابقتيها ، تتناول اللهجات واللغات القديمة التى يمكن أن تكون قد انحدرت منها الظواهر اللغوية الحديثة : أين نلتمسها ؟ أفى تلك اللغات السامية التى عاشت فى الجاهلية البعيدة، فى الجزيرة العربية وفى خارجها ؟ أم فى اللغات الحامية والسودانية القديمة التى عاشت فى السودان زمناً طويلا واتصلت بأهله، واحتكت باللهجات العرب الذين نزحوا الى السودان ؟ أم فى اللهجات

العربية التى كان العرب يتكلمونها فى شبه الجزيرة العربية فى وقت ظهور الإسلام ، والتى مثلت دوراً هاماً فى تعريب شتى الأمصار التى فتحها العرب المسلمون ؟

الواقع أن الدراسة التاريخية المقارنة تحتم على الباحث ألا يغفل بحال من الأحوال أهمية هذه اللغات واللهجات جميعاً فى سبيل التعرف على مصادر الظواهر اللغوية الحديثة ومكوناتها الأولى فى بلد كالسودان .

على أن أهم المصادر العربية المباشرة للهجات العربية الحديثة فى السودان هي — فيما نحسب — تلك اللهجات التى حملها العرب إلى إفريقية منذ الفتوح الإسلامية ، أعنى لهجات القبائل والجماعات التى خرجت من الجزيرة العربية منذ بداية القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) ثم تفرقت مع الفتوح على بقاع مصر والمغرب والأندلس وشرق افريقية ، فى خلال أجيال متعاقبة ، ثم أتيح لجماعات منهم ، فى فترات متقطعة ، أن ينزحوا إلى السودان ، ويسهموا بأكبر نصيب فى تعريبه .

فإذا أردنا أن نتابع حلقات التطور التاريخى التى أدت إلى ظهور اللهجات الحديثة فى السودان ، فمن الضرورى أن نعنى عناية خاصة بلهجات تلك التجمعات القبلية التى دخلت من طريق البحر الأحمر إلى افريقية ، منذ القرن الأول الهجرى ، ونزحت منها جماعات إلى

السودان فى خلال القرون التالية ، حاملين معهم لهجاتهم التى تعرضت ـ على مر الزمن ـ لعوامل التطور والتداخل تبعاً لما كان يحدث فى هجراتهم من تداخل واتصال ، والتى تأثرت إلى جانب ذلك بمؤثرات محلية ، ثم انتهت إلى تلك النماذج التى يتكلمها السودانيون فى الوقت الحاضر .

(د) ولكن هل من الميسور أن نهتدى إلى صور اللهجات القديمة التى حملها العرب الأوائل من جزيرتهم إلى القارة الإفريقية منذ القرن الأول الهجرى ، والتى نعدها من أهم المصادر المباشرة للهجاتنا الحديثة ؟

الواقع أن ما أورده علماء اللغة ورواتها الأولون عن هذه اللهجات لا يكفى وحده للحكم على خصائص كل منها ، ولا يعطينا بياناً واضحاً محدداً عن القبائل التى تكلمت بها ، والمراحل التى تطورت من خلالها ، (ولو روى العلماء القدماء كل ما يخص اللهجات وأضافوا إليه كل أسماء العشائر والتواريخ التى كانت تستعمل فيها اللغات ، لأمكننا أن نكتب كتاب نحو اللهجات القديمة كاملا . ولكن ما يمكننا الآن هو اقتباس بعض اللغات واللثغات من الأدب ومن شروح الأدب فقط) (١)

وعلى ذلك فلابد أن يواجه الباحث هذه الحقيقة ، وهى أن

---

(١) انولتمان : مقال (بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى) مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ـ مايو ١٩٤٨ ، ١٠ـ١ ص ٤ .

اللهجات العربية القديمة لم يسجل كثير من سماتها وخصائصها، بل إن ما نقله الرواة من شواهدها لم يكن مقصوداً لذاته وانما كان لبناء قواعد اللغة الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم . فجمعوا لذلك الغرض ما استطاعوا من الشواهد ، وصادفوا فيما نقلوه عناصر مختلفة من لهجات القبائل ، فمنها ما استحسنوه وأجازوا استعماله فى الفصحى ، ومن ذلك بعض ما ورد عن لهجات الحجاز وتميم وقيس وأسد وهذيل . ومنها ما رفضه علماء اللغة ، أو عدوه خارجاً عن دائرة اللغة النموذجية الفصحى ، وسموه اللغات المستهجنة ، أو المذمومة ، أو الرديئة ، وخلعوا على كثير منها ألقاباً تنطوى على الذم فقالوا : المجمجة ، والغمغمة ، وأكلونى البراغيث ، والعجرفية إلى آخر هذه الألقاب التى اختلف العلماء فى تعريفها ، كما اختلفوا - فى كثير من الأحيان - فى تحديد أصحابها الناطقين بها .

فاللهجات القديمة إذن كان منها ما دخل فى نطاق الفصحى ، ومنها ما هو خارج عنها ، ومن هذا الصنف الأخير تلك اللهجات التى عاش أصحابها على أطراف شبه الجزيرة ، وتأثروا بلغات الشعوب المجاورة ففسدت ألسنتهم ، وهؤلاء هم الذين عرّض بهم أبو نصر الفارابى(١) فى قوله : (فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر

---

(١) هو أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى المتوفى حوالى ٣٩٨ ﻫ صاحب كتاب الصحاح فى اللغة . وهو غير الفارابى الفيلسوف .

والقبط . ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام ، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية . ولا من تغلب والنمر (١) ، فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان . ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس . ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس . ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة . ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم . ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم)(٢).

ويستوقفنا فى هذا النص أسماء القبائل التى عزف العلماء عن لهجاتها واستبعدوها من دائرة « الفصحى » . فإن كثيراً من القبائل التى ذكرها اسماعيل بن حماد الفارابى كان لهم النصيب الأوفى فى فتوح القارة الإفريقية ، ومنهم تألفت جموع حاشدة من جيوش الفتح ، ومنهم - أيضاً - انتقلت فى أعقاب الفتوح أفواج كثيرة حملوا معهم لهجاتهم الخاصة إلى مهاجرهم فى أرض وادى النيل وبلاد المغرب وغيرها . وهذا يعنى أن لهجات هذه القبائل التى استبعدها العلماء من نطاق اللغة النموذجية ، كانت فى الواقع مصدراً هاماً من مصادر اللهجات العربية

---

(١) فى النص (تغلب واليمن) ولعل الصواب ما ذكرنا
(٢) المزهر ١/٢١١

الحديثة فى كثير من البلدان العربية فى افريقيـة ، كالمغرب ومصر والسودان . ولاشك أن طائفة من سمات تلك اللهجات القديمة لاتزال ماثلة فى تلك اللهجات الحديثة ، بصورة أو بأخرى ، تتفـاوت كثرة وقلة ، وظهوراً وخفاء ، تبعاً لاختلاف البيئات ، والمؤثرات ، ونسب التداخل والامتزاج التى تألفت منها على مر الزمن كل لهجة منها .

الفصل الأول

تساند الأدلة التاريخية واللغوية

١ - القبائل التى نزحت إلى السودان ومناطقها فى الجزيرة العربية

نود أن نستقى - أولا - الشواهد التاريخية للتعرف على القبائل العربية التى نزحت إلى السودان فى مختلف العصور الإسلامية ، وبيان مساكنها فى شبه الجزيرة العربيـة فى عصر الفتوح الأولى أى فى القرن الأول الهجرى . ثم نحاول فى ضوء الدليل التاريخى واللغوى أن نرسم حدوداً تقريبية للمناطق التى نعدها أهم مستودع لمجموعات اللهجات التى تكلمتها هـــذه القبائل ، والتى لابد أنها حملتها أو حملت آثاراً منها - على الأقل - إلى السودان .

ونود أن نقرر منذ البداية أمرين : أحدهما أن الموجات العربية كانت على مدى عصور التاريخ تتخـذ من البحر الأحمر - فى أى جزء من أجزائه - طريقاً للهجرة من الجزيرة العربية إلى الساحل الإفريقى ، غيرأن الشواهد التاريخية تدل على أن طريق سيناء قبل الإسلام وبعده قد حمل النصيب الأكبر من تلك الموجات التى كان لهـا أعظم الأثر فى تعريب أرض وادى النيل شماله وجنوبه .

والثانى : أننا حين نضع رسماً تقريباً لمناطق اللهجات العربية القديمة



خريطة شبه الجزيرة العربية
(١) المنطقة الشمالية الغربية
(٢) المنطقة الحجازية
(٣) منطقة غرب نجد
(٤) منطقة شمال اليمن وأواسطه
(٥) منطقة جنوب اليمن (حمير وحضرموت)
(٦) منطقة اليمامة (بنو حنيفة)
حدود تقريبية لهذه المناطق
قبرص
بيروت
دمشق
عمان
القدس
جذام
العقبة
تغلب
بغداد
البصرة
طيء
أسد
غطفان
كلاب
هوازن
عقيل
باهلة
تميم
فزارة
سليم
سعد
الأزد
مكة
جدة
هذيل
خثعم
مذحج
الحارث
همدان
صنعاء
حمير
عدن
حضرموت
بحر فارس
أزد عمان
وادي حلفا
الخرطوم
أسمرة
مملكة أكسوم الحبشة
جيبوتي
أديس أبابا

التى كان لها آثار ظاهرة فى لهجات السودان ، فإنما نضع فى اعتبارنا أن أصول القبائل التى قررها رواة الأنساب الأوائل فى جداول أنسابهم والتى وضع أساسها غالباً قبيل ظهور الإسلام ، هى فى نظر الباحث اللغوى لا تخلو من قيمة . ومن الواضح أن اعتمادنا على هذه الجداول فى هذا المقام لا يعنى أننا نجزم بصحة ماورد فيها من صلات دموية ، وتسلسل قائم على روابط الأبوة والبنوة، وإنما يعنى أنها دلالة نستأنس بها فى المجال اللغوى ، هذه الدلالة التى عبر عنها أحد الباحثين بقوله : (إن القبائل كانت كناية عن مجاميع أو كتل ، وكل كتلة متمايزة عن الكتلة الأخرى فى اعتبارات قومية ولغوية واقتصادية . ومن ثم كنا نقرأ كثيراً فى كتب اللغة والنحو أن هذا هو رأى الحجازيين ، وبإزائه هـذا رأى التميميين . وكل كتلة من هاتين الكتلتين تتعقب الأخرى وتقف بإزائها ، وتخالفها فى آرائها ، وتباينها فى لهجاتها)(١) . ومن المحتمل أن التمايز اللغوى بين هذه التجمعات القبلية ، كان من جملة الدلائل التى اهتدى بها النسابون الأوائل أنفسهم فى تصنيف جداولهم. وأيا ماكان الأمر ، فإن فى هـذا التصنيف ما يمهد للباحث اللغوى سبيل التعرف على كثير من النماذج اللغوية التى تمايزت بتمايز المجموعات القبلية على الصورة التى عرفها النسابون الأوائل أى قبيل ظهور الإسلام.

---

(١) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد ١٤ ج ١ مايو ١٩٥٢) من مقال (نظرية الأنساب فى الميزان) للاستاذ عبد الوهاب حموده ص ١٤٦ ـ ٧

والخريطة التي أوردناها هنا (ص ١٥) تمثل رسماً تقريبياً لحدود المناطق القديمة التي قُدر لجماعات من قبائلها أن تنتقل إلى السودان، وأن تنتشر في أنحائه، وأن يكون للهجاتها آثار ظاهرة في لهجات السودان. ونود أن نقف قليلا عند كل منطقة منها، لنتعرف — في إيجاز — على القبائل والجماعات التي كانت تسكنها في خلال القرن الأول الهجري، ودلت الأخبار والشواهد على أن جموعاً منها قد نزحت إلى السودان واستقرت في ربوعه في خلال العصور الإسلامية.

١ — منطقة الشمال الغربي: سكنها بطون من قضاعة وكهلان، وكلاهما من أعقاب سبأ، وأشهر من سكنها من قضاعة: جهينة وبليّ وكانت مساكنهم تقع على ساحل البحر الأحمر بين أيلة العقبة وميناء ينبع. هاجرت من القبيلتين بطون كثيرة إلى مصر منذ الفتح الأول، وفي عصر المماليك كان أكثر عرب الصعيد منهم. ثم انتقلت موجات ضخمة من جهينة إلى السودان حيث تفرقوا على بقاعه شرقاً وغرباً وجنوباً. وكذلك نزحت بطون من بلي إلى شرق السودان في عصر مبكر (١). ومن بطون كهلان ممن سكنوا هذه المنطقة: لخم وجذام وغسان. وفي عهد عمر بن الخطاب تفرقوا عن هذه المنطقة، وكانوا قد اعتنقوا النصرانية فنزل فريق منهم أرض الجفار في شمالي سيناء،

---

(١) البيان والاعراب مع دراسات لعبد المجيد عابدين ٩٧، ١٠٦، ١٢٤، ١٢٨ — ١٣٢، ١٤٢، ١٤٩ — ١٥١، قلائد الجمان القلقشندي ص ٤٤، ٤٦

وهي البقعة الرملية بين مصر وفلسطين . وفي أوائل فتح مصر سكن لخم وجذام مصر ، ثم نزحت منهم بطون إلى الأندلس ، وكان لديهم طموح إلى السلطة ، ولهم أحداث جسام في تاريخ مصر والأندلس . وتدل القرائن على أن الجذاميين بعد أن غُلبوا على أمرهم في الأندلس في سنة ٥٤٤ هـ بوقت غير قصير - أخذوا يتدفقون هم وأحلافهم على شمال إفريقية ، والصحراء الكبرى ، حيث تفرقت بهم السبل ، ثم انهى المطاف بفريق منهم في بعض جهات غرب السودان (١) .

وما رواه القدماء عن لهجات لخم وجذام وغسان قليل قلة نادرة . وقد يتعذر الآن أن نتعرف على كثير من خصائصها . ولا جدال في أن ماروا الأوائل عن لهجات جيرانهم القضاعيين - على قلته - يمدنا بصورة أوضح نسبياً مما روى عن لهجات لخم وجذام وغسان . غير أنه من المرجح أن لهجات هذه المنطقة بوجه عام قد تأثرت تأثراً واضحاً ببقايا اللغات السامية القديمة كالآرامية والعبرانية ، وأن تداخلا قديماً حدث بين لهجات قضاعة وكهلان في هذه المنطقة .

٢ - المنطقة الحجازية : سكنها جماعات من أصول شتى ، فمنهم ثقيف الذين ينتمون - في بعض الأقوال - إلى إياد بن نزار ، ومنهم الأوس والخزرج وهم من الأزد من كهلان بن سبأ ، ومنهم قريش وينتهي نسبها إلى إلياس بن مضر . والحجاز قد أسهم بنصيب

(١) البيان والاعراب ... مع دراسات : ص ٩٠ - ٩١ ، ٩٧ - ٩٩ ، ١٤٦ - ١٤٧ - قلائد الجمان ص ٥٧

فى سوح القارة الإفريقية ، فنزلت طائفة من قريش فسطاط مصر فى أوائل الفتح ، وسكن لفيف من الأنصار فى صعيد مصر . ويحدثنا المؤرخون أن جماعات حجازية من قريش وغيرهم دخلوا السودان فى عصور شتى (١) .

وقد تجنب علماء اللغة لهجات حواضر الحجاز ، فلم ينقلوا عن أهلها لأنهم - كما ذكر ابن حماد الفارابى - «صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم» . غير أن الرواة حفظوا لنا غير قليل من لهجاتهم ، وهو يدل فى مجموعه على أن كثيراً من عناصر هذه اللهجات كانت نماذج مختلفة من لهجات الجانب الغربى من شبه الجزيرة العربية ، استمد بعضها من المنطقة التى تأثرت بالآرامية الغربية شمالا ، وبعضها من لهجات اليمن شماله وجنوبه .

٣ - منطقة غربى نجد : ونقصد مساكن بنى هلال بن عامر ، وبنى سُليم بن منصور ، وبنى فزارة بن ذبيان ، وجميعهم من قيس عيلان . وعلى الرغم من أن بنى سليم كانوا أكثر قبائل قيس عددا ، ظفر بنو هلال بالشهرة ، ونسبوا جميعاً إلى الهلالية . وأحدثت تغريبتهم فى أيام الفاطميين ، دوياً فى أحداث مصر وبلاد المغرب . ومنهم بطون عديدة سكنوا صعيد مصر ، واشترك منهم فى حملة السلطان قلاوون

(١) البيان والاعراب ٤٧ - ٤٨ ، ٩٩ ، ١٥٥ - ١٥٧ وقارن ص ١٥٩

على بلاد النوبة عام ٦٨٦ هـ . وبعد بضعة قرون أخذت جموع من الذين نزحوا منهم إلى المغـــرب فى العودة إلى أرض وادى النيل وأطراف الصحراء الغربية ، وقد امتزجت أصولهم بأصول البربر . وتدل القرائن على أن جماعات منهم تسربوا من طريق الغرب إلى السودان (١) . وبنو هلال وأحلافهم من سكان هذه المنطقة لم يكونوا من قبائل أطراف الجزيرة ، وقد احتج علماء العربية ببعض لهجاتهم وعدوه من اللغة النموذجية (الفصحى) .

٤ ، ٥ — منطقتان : إحداهما شمال اليمن وأواسطه ، وسكنها قبائل من كهلان بن سبأ ، وهى مواطنهم الأصلية ، منهم أزد شنوءة ، وخثعم ، وبجيلة ، ومذحج ، وهمدان . ويليها جنوباً منطقة سكنها حمير وحضرموت . والنسابون يعدون كهلان وحمير أخوين ، وينسبونهما إلى سبأ بن يشجب . أما حضرموت ففى نسبه خلاف ، ومنهم من جعله أخاً لسبأ (٢) .

ولعل تقسيم أهل اليمن - باستثناء حضرموت - إلى شقيقين هما كهلان وحمير، يحمل فى طياته دلالة تشير إلى شىء من التمايز كان بينهما قديماً . ومن الجائز أن لهجات كهلان فى شمال اليمن وأواسطه كانت

---

(١) البيان والاعراب ... مع دراسات : ص ١٢٦ ، ١٥١ - ١٥٤ ، ١٦٧ ـ قلائد الجمان ١١٣ ـ ١٠٤ ، ١١٨ ـ ١١٩ ، ١٢٤ ـ ١٢٨

(٢) العبر لابن خلدون ١ ـ ٢/ ٥١١

تبدو متمايزة عن لهجات حمير عندما وضع النسابون هذا التقسيم قبل ظهور الإسلام بوقت قصير . على أن هذا التمايز كان مازال قائماً فى القرن الأول الهجرى ، وعبر عنه أحد الباحثين المعاصرين بقوله : (إن اللهجات التى تكلمها أهل النصف الشمالى من اليمن ، وهو الذى يسمى الآن تهامة وعسير ، تشترك فيما بينها فى ملامح كثيرة جداً بحيث تؤلف مجموعة ذات معالم واضحة محددة ، متمايزة عن المجموعة الممتدة من أواسط اليمن إلى الجنوب ، وعن المجموعة الحجازية الهذلية التى تقع فى الشمال) (١)

ويحدثنا رواة الأنساب أن فرع كهلان كان أميل إلى حياة البداوة ، من فرع حمير الذين كانوا أكثر استقراراً وتحضراً(٢). ومن المحتمل أن كهلان قد استخدموا حراساً للقوافل التى كانت تسيرها دول الجنوب إلى سائر أنحاء الجزيرة فى زمان الجاهلية (٣). ولما جاء الإسلام خرجت جموع كبيرة من كهلان من مساكنها واتجهت نحو الشمال ، ودخلت فى جيوش الفتح، حتى أصبحت الكثرة الغالبة من بجيلة وخثعم قد تركوا مواطنهم فى أيام الفتح ولم يبق منهم فيها إلا القليل (٤) .

---

(١) رابين ص ٦٤ .

(٢) تاريخ العبر : لابن خلدون (بيروت ١٩٥٦) ١ - ٢/٥٢٤

(٣) لفظ (كهلان) فى العربية الجنوبية يعنى القادر أو القوى ، ولفظ أزد (أسد بسكون السين) يعنى الجندى أو المحارب

(٤) قلائد الجمان : ١٠٣ ، ١٠٤

وتفرقت من همدان والأزد جموع كثيرة فى أقطار الإسلام (١). وكذلك لم تنقطع هجرة سكان المنطقة الجنوبيـة من حمير وحضرموت من مواطنهم إلى سائر الأقطار.

وكان للسودان نصيب من هجرات شمال اليمن وأواسطه، ولكنه نصيب قليل محدود فيما يبدو. والظاهر أن معظم المهاجرين منهم قد آثروا البقاء فى البقاع الشمالية لبلاد الشام ومصر السفلى والمغرب والأندلس، وقلما تشير الأخبار إلى هجرة جماعة منهم إلى السودان أو صعيد مصر الأعلى، فمن ذلك مايشير إلى أن بطونا من سعد العشيرة، من مذحج الكهلانية، نزحت من بلاد الشام إلى صعيد مصر الأعلى، وحصلت فى القرن الثالث الهجرى من النوبيين على حق الإقامة الدائمة فى منطقة مريس (٢).

ومن المحتمل أن جماعات من سكان هاتين المنطقتين عبروا إلى شرق إفريقية ومنه إلى السودان، من طريق باب المندب، ولم تسجل أخبارهم. وقديماً، فى عصور ما قبل الميلاد، نزحت من هذا الطريق موجات سبئية إلى الساحل الإفريقى، واستقرت على هضاب اثيوبيا، وأسس فريق منهم مملكة أكسوم حوالى القرن الأول الميلادى. وكان معهم لغاتهم السبئية التى تطورت فى المهجر الإفريقى وخضعت لمؤثرات

(١) العبر ١ ـ ٢/٥٢٥، قلائد الجمان ٩٣ ـ ١٠٠

(٢) الاسلام والنوبة د. مصطفى مسعد (١٩٦٠) ص ١٢٦

محلية . ولا يزال الأحباش ، إلى يومنا هذا ، يتكلمون منها نماذج حديثة، ويطلقون عليها أسماء متعددة، كالأمهرية والتجرية، والتجرينية والجراجوية الخ ... ومن المتوقع أن يكون لهذه اللغات تأثير فى لهجات الشعوب التى جاورتها ومنها السودان . أما الحضارمة ، فمن المعروف أن هجرتهم إلى شرق السودان قديمة ، ومنهم «الحداربة» (لفظ محرف من الحضارمة) الذين نزحوا إلى شرق السودان منذ القرن الأول الهجرى ، وكان لهم شأن ونفوذ فى بلاد البجة .

٦ — منطقة اليمامة : سكانها من بنى حنيفة ، وهم من ربيعة ابن نزار . جاوروا أقرباءهم بنى بكر بن وائل فى الشمال ، وأزد عمان فى الجنوب الشرقى ، وتميماً على حدود مساكنها الغربية ، وعبد القيس فى منطقة البحرين التى كانت تضم كذلك جماعات من بكر بن وائل وتميم . وأغلب الظن أن لهجة بنى حنيفة قد تأثرت بلهجات هذه القبائل المجاورة ، بل ربما دخلت طوائف منهم فى بنى حنيفة . وفى خلافة المتوكل العباسى (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ) نزحت جموع كبيرة من أعقاب بنى حنيفة ومن لحقوا بهم من جيرانهم ، إلى أرض وادى النيل ، وانتشروا فى بلبيس فى الشرقية ، ونزحت طوائف منهم إلى أعالى الصعيد ، وصارت لهم مرافق ببلاد البجة فى السودان ، وكان لهم فى أرض المعادن بالعلاقى نفوذ وشأن . واليهم ينتمى الكنوز (بنوكنز الدولة) الذين يعيشون اليوم فى شمال السودان . ومن أرض

المعدن انتشروا على بقاع السودان بعد أن خربت مناطق المعدن أو معظمها فى عصر المماليك (١) .

٢ - قبائل ليس لها آثار لغوية ظاهرة أو مباشرة فى السودان

وعلى العكس مما ذكرناه عن الجماعات والقبائل التى هاجرت إلى السودان ، واستقرت فى ربوعه ، وتركت آثاراً فى لهجاته ، نجد هناك طوائف أخرى من العرب ، عرفت بلهجاتها القديمة ، وسكنت نجدا وبعض أطراف الجزيرة ، ولم يكن لها - فيما يظهر - نصيب يذكر فى الهجرة إلى السودان ، فليس لدينا دليل من التاريخ ولا من اللغة على أنها كانت ذات تأثير مباشر على اللهجات التى يتكلمها السودانيون اليوم .

ا - ونبدأ ببهراء ، وهى من قضاعة ، وفى هجرتها إلى السودان شك كبير على الرغم مما أشاعه القلقشندى فى كتبه (٢) ، وزعم أنه نقله من كتاب العبر لابن خلدون . قال القلقشندى (قال فى العبر : وكانت منازلهم (يعنى منازل بهراء) شمالى منازل بلىّ من الينبع إلى عقبة أيلة . ثم جاوز خليج كثير منهم بحر القلزم وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وكثروا هناك وغلبوا على بلاد النوبة) . ولسنا على يقين من

---

(١) البيان والاعراب ٤٤ ، ١٠٦ ، ١٢٥ ، ١٦٣

(٢) نهاية الأرب للقلقشندى : ١٨٢ ، قلائد الجمان : ٥٠

صحة ما نقله القلقشندى من كتاب العبر ، والنسخ التى بين أيدينا من كتاب العبر تتحدث فى هـــذا المعنى عن جهينة وليس عن بهراء (١) . ولم يشر مؤرخ معاصر له ، وهو المقريزى ، فى شىء من كتبه ، إلى هجرة لبهراء إلى أرض وادى النيـــل . وليس فى الروايات الوطنية السودانية أية إشارة إلى بهراء فيما رووه عن القبائل التى نزحت إلى السودان . هـذا إلى أن ما نسبه علماء اللغة إلى بهراء من كسر بعض حروف المضارعة ، ولا سيما الياء (وهو ما يسمونه بالتلتلة) ، وإن يكن له بعض الأثر فى لهجات السودان اليوم ، كما سنبين بعد ، فهو أمر لم تكن تختص به بهراء دون إخوتها من جهينة وبلىّ . وعلى هذا فالأقرب أن ننسب هذا الأثر إلى هؤلاء الذين ثبتت هجرتهم واستفاضت آثارهم فى اللهجات السودانية .

ب ـ ومن قضاعة أيضاً «بنو كلب» سكنوا شمالى نجد ، فى دومة الجندل وما حولها ، وفى بعض أطراف الشام ، وقد آثروا الهجرة إلى بلاد فارس والعراق والشام والوجه البحرى من مصر ، ولم تصل آثارهم إلى السودان . وينسب إليهم من اللهجات ما يسمى بالوكم والوهم . أما الوكم فهو كسر كاف الخطاب المتلوة بالميم إذا سبقت بكسرة أو ياء فيقال : عليكم وبكم . أما «الوهم» فهو كسر ضمير الغائب الجمع

---

(١) العبر (ط بيروت ١٩٥٦) ١ ـ ٢/٥١٦ ، وانظر تعليق ناشر قلائد الجمان ص ٥٠ الدبر (هامش)

فيقولون مِنهِم وبينِهم وعِنهم(١). أضف إلى ذلك ما يروى من أن بنى كلب يقولون فى مثل دابّة وشابّة وابياض : دأبّة - شأبّة - ابيأض، فيقحمون همزة مفتوحة على الألف . وبهذه اللهجة قرئت بعض آيات القرآن الكريم ، وروى بها بعض شواهد الشعر (٢) . وهذه كلها لا أثر لها فى لهجات السودان . فلا وجود لهذه الهمزة المقحمة ، كما أن لهجات السودان - بصفة عامة - تلتزم فى ضمير الغائب الجمع هاء مكسورة للمؤنث ومضمومة للمذكر فتقول :

فيهِن، مَعَاهِن، مِنّهِن (للمؤنث) فيهُن، مَعاهُن، مِنّهُن، عليهُن (للمذكر - وقد تبدل النون ميما فى بعض لهجات أهل المدن).

كما تحتفظ اللهجات السودانية بكاف الخطاب للجمع مضمومة فتقول ليكُن ، فيكُن ، مِنّكُن (أى لكم وفيكم ومنكم) .

ح - ومن كهلان قبيلة طيء التى سكنت بطونها شمالى نجد ، وكانت مساكنها فى الجاهلية أوسع رقعة منها فى عصور الإسلام ، ولعلهم كانوا فيما مضى يحتلون جزءاً من المنطقة التى سكنتها قضاعة فيما بعد ، لذلك كان من المتوقع أن نجد بعض آثار من لهجات قضاعة وطيء فى كل من القبيلتين(٣)ومنذ القرن الأول الهجرى تفرقت بطون طيء فى الفتوحات

---

(١) المزهر ١/٢٢٢ ، مميزات لغات العرب لحفنى ناصف (١٩٥٧) ص ٢٢

(٢) ابن يعيش ٩/١٢٩ - ١٣٠ ، ١٠/١٢ - ١٣ ، لسان ١/١٤ . رابين ٢٠٢

(٣) رابين ١٩٣

وانتشروا فى العراق والشام ومصر ، وكان لهم نفوذ وسلطان[١]. ولكن لا دليل من الروايات المعتمدة على أن منهم من هاجروا إلى السودان فى أى عصر من العصور إلا أن يكونوا فى غمار أحلاف أو جماعات أخرى وفدت على السودان ، وأغلب الظن أن ما شاع فى لهجات السودان مما له نظائر قديمة فيما نسبه اللغويون إلى طيء ، كان قد انتقل إلى السودان من طريق جهينة وبلىّ ، أو بطون كهلان الذين نزحوا إليه . مثال ذلك : قُطعة طيء ، وهى قطع آخر الكلمة فى النداء ، وفى غير النداء ، وهى ظاهرة موجودة على صور شتى وفى عدد من اللهجات القديمة(٢)، ولم تكن مقصورة على طيء ، فإذا وجدنا أثراً منها فى بعض لهجات السودان ، كما فى لهجة الرباطاب ، فذلك لا يعنى أنها أثر طائى أو — على الأقل — أثر طائى مباشر . كذلك فى الأفعال الثلاثية التى من باب (علِمَ) مثل رَضِىَ وفَنِىَ وبَقِىَ ونَسِىَ ، يقلب الطائيون ياءها ألفاً وكسرتها فتحة ، فيقولون رَضَى وفَنَى وبَقَى ونَسَى (٣) . وقد نجد هذه الظاهرة فى بعض لهجات غرب السودان ، عند الهوارة والبديرية ودار حامد ، ولكنهم — فى الغالب — يكسرون أول الفعل ، فيقولون رِضَى وفِنَى وبِقَى ونِسَى(٤) . وهذه الظاهرة

---

(١) قلائد الجمان ٧٣ — ٨٣

(٢) انظر الفصل التالى

(٣) مميزات : ٢٦

(٤) وأحياناً يفتحون أول الفعل كما فى دار حامد يقولون : فَنَى

لم تكن مقصورة على لغة طيء ، فهى عريقة فى منطقة الشمال الغربى . واستعمالتها العبرانية القديمة ؛ فمن المتوقع أن تكون قضاعة هذه المنطقة قد ورثتها . بل إن علماء العربية القدماء والمحدثين ينسبونها إلى طيء وبالحارث ابن كعب ومزينة(١) . ومما يذكر أن مساكن مزينة منذ زمن بعيد كانت متصلة بمساكن جهينة فى محاذاة البحر الأحمر . ومن المحتمل أن استخدام مزينة تلك اللهجة كان بتأثير من لهجة جهينة .

وليس من شك فى أن طيئا بحكم أصلها الكهلانى ، وتوسط مساكنها فى شمال نجد بين قبـــائل الشرق والغرب ، والشمال والجنوب ، كانت ملتقى عناصر شتى من اللهجات التى حولها ، وقد فطن ابن القوطية إلى ذلك حين ذكر أن لدى طيء «توسعاً من اللغات (٢) » .

وهناك ظواهر أخرى للهجة طيء ، رويت فى كتب اللغة ، منها استخدام (ذو) أداة وصل ، و«حوث» بدلا من حيث ، وإبدال الهمزة هاء فى إن وإنك يقولون هنْ وهنَّك ، واستعمال (تا) بدل (هذى) اسما للاشارة إلى المفرد المؤنث ، والاحتفاظ بتاء التأنيث للمفرد المؤنث عند الوقف ، وسقوط تاء الجمع المؤنث عند الوقف ، وقولهم يدام ويمات بدلا من يدوم ويموت . وكل ذلك لا نجد له أثراً فى لهجات السودان .

د ـ فإذا تركنا شمالى نجد واتجهنا جنوباً ، وجدنا عدداً كبيراً

---

(١) رابين ١٩٦ (٢) قصه ١٩٤

من القبائل ينتشر على مرتفعات نجد وتمتد مساكنها شرقاً حتى تتصل بمساكن ربيعة على الأطراف الشرقية، وتمتد إلى الغرب حتى تتاخم أرض الحجاز . وأهم هذه القبائل : تميم وأسد وقيس . وقد لقيت لهجاتهم عناية خاصة من علمائنا ورواتنا الاولين ، إذ كانت من أهم مصادر اللغة الفصحى عندهم ، وكثيراً ما عبروا عن مجموعة هذه اللهجات باصطلاح واحد ، وهو لغة تميم .

وإذا استثنينا بنى هلال وأحلافهم من سكان هذه البقاع النجدية الفسيحة ، فإن قبائل نجد ـ بصفة عامة ـ لم يرد ذكرها فى العرب المهاجرين إلى السودان فى أى عصر من العصور . وإن كثيراً من خصائص لغة تميم (١) ، لا يتفق والسمات العامة المعروفة للهجات السودانية . وسوف نشير ـ فى الفقرات التالية ـ إلى شىء من هذه الخصائص فى سياق المقارنة . وهناك آثار ضئيلة من اللهجات النجدية لا تزال ماثلة فى لهجات السودان ، والأقرب أنها تسربت من طريق الهلاليين وأحلافهم الذين كانت تربطهم بقيس وتميم صلات من النسب والجوار ، أو من طريق أعقاب بنى حنيفة جيران التميميين الذين كانوا على اتصال باليمامة والبحرين .

هـ ـ وإذا كان السودان قد عرف أعقاب بنى حنيفة ومن كان على اتصال وثيق بهم ، دون سائر ربيعة ، فمن المتوقع أن تكون لهجات

---

(١) جمع الدكتور صبحى الصالح كثيراً من خصائص لهجة تميم فى كتاب «دراسات فى فقه اللغة» (دمشق ١٩٦٠) ، الفصل الرابع (لهجة تميم وخصائصها) ص ٦٦ ـ ١٠٦

تغلب والنمر التى تقع فى أقصى الشمال الشرقى بعيداً عن منطقة بنى حنيفة ، غير متمثلة آثارها فى لهجات السودان . وهـذا ما تؤيده الشواهد التى بين أيدينا . واللهجات السودانية لا تعرف شيئاً من هذه الكشكشة التى تنسب إلى ربيعة (١) . وهى أن يجعلوا الشين مكان الكاف فى المؤنث خاصة ، فيقولوا « مِنْشِ ، عليْشِ » (مِنكِ وعليكِ) ومنهم من يزيد الشين بعد الكاف فيقول عليكِشْ ومنكِشْ ، وذلك فى الوقف خاصة ، فإذا وصلوا حذفوا الشين ، ومنهم من يجرى الوصل مجرى الوقف فيبدل فيه أيضاً . ومثلها شنشنة اليمن ، مع فارق غير واضح تماماً ، وقد وصفها السيوطى بقوله (الشنشنة فى لغة اليمن تجعل الكاف شيناً مطلقاً كلبيش اللهم لبيش (أى لبيك) ٢) . والظاهر أن الكشكشة لم تكن فى قبائل ربيعة كلها . لعلها كانت فى ربيعة الشمال ، وقد يؤيد ذلك ما روى فى كتاب العقد الفريد عن (شنشنة تغلب)(٣) . ومهما يكن من أمر فليس لهذه ولا لتلك أثر فى لهجات السودان إلا ما يقال عن لهجة جماعات طارئة نزحت إلى السودان من الجزيرة العربية فى منتصف القرن الماضى ، يقال لها الرشايدة والزبيدية ويسكنون الآن فى المنطقة التى تقع بين بورسودان وطوكر وفى منطقة القاش من جهة الشرق حتى نهر

---

(١) لسان العرب (كشش) ، خصائص ١/٤١١ ، خزانة ٤/٥٩٦ ، فصل المقال لأبى عبيد البكرى ٢٠٨ ــ ٢٠٩

(٢) المزهر ١/٢٢٢

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه (تحقيق سعيد العريان ١٩٥٣) ٢/٢٧٣

عطبرة (١) .

أما «الكسكسة» التى نسبتها بعض الروايات إلى ربيعة ، ووصفت بأنها إبدال السين من كاف الخطاب للمؤنث، أو زيادة سين بعد الكاف فى الوقف ، فهى غير معروفة كذلك فى لهجات السودان (٢) .

ومن لهجات ربيعة ، بناء (مع) على السكون. ورد فى لسان العرب (وحكى الكسائى عن ربيعة وغَنْم أنهم يسكنون العين من (مَعْ) فيقولون معْكم ومعْنا ...) وغنم التى ورد ذكرها هنا حىّ من تغلب ابن وائل . وهذه اللهجة ، وإن شاعت فى لهجات مصر ، فهى نادرة فى السودان . والغالب فى لهجات السودان فتح العين ومدها ألفاً مع الضمير فيقولون معاهُن ومعاكُن أى معهم ومعكم .

و — قلنا إن لهجات نجد وشرقى الجزيرة (باستثناء منطقتى غربى نجد واليمامة) لم تكن لها آثار ظاهرة أو مباشرة فى السودان ، وأن

---

(١) أخبرنى صديقى الدكتور عبد الله الطيب أنهم يقولون فى «فكّر» فلتشر فيجعلون الكاف («تش»).

(٢) اختلف اللغويون فى نسبتها اختلافاً واسعاً . فنسبت إلى ربيعة وبكر وهوازن وتميم على اختلاف الروايات . ووجه الصواب عندى أنها لهوازن ، وهى من قيس ، ومن قبائل نجد . أما قولهم إنها لتميم ، فربما كان من قبيل نسبة لهجات نجد إلى «لغة تميم» . وهناك من ينسبها إلى بكر ، وربما توهم بعضهم أنها بكر بن وائل ، من ربيعة ، فنسبها إلى ربيعة ، والصواب أنها بكر بن هوازن كما ذكر ذلك الأستاذ عبد السلام هارون فى تعليقه على نص الجاحظ (البيان والتبيين ٢١٣/٣) . أنظر فى هذه اللهجة : الخصائص ٤١١/١ ، خزانة ٥٩٦/٤ ، مزهر ٢٢١/١ ، لسان (كس)

لهجات السودان قد استمدت عناصرها العربية غالباً من لهجات المناطق الست التى أشرنا إليها فيما سبق. غير أننا لا نعنى بذلك أن جميع اللهجات التى استوعبتها هذه المناطق الست قد تمثلت كلها فى لهجات السودان. بل الواقع — كما رأينا — أن السودان قد نال من كل منطقة نصيباً من سكانها وقبائلها لا يمثل فى الحقيقة إلا قسماً منهم، وتلقى من لهجات كل منطقة آثاراً معينة بقـــدر ما سمحت به تلك النماذج اللغوية التى حملها أصحابها إلى السودان. وهذا يعنى أن هناك نماذج أخرى تنتمى إلى هذه المناطق ذاتها ولم يتح لها أن تتمثل فى اللهجات السودانية، أو ربما تسرب منها شىء ولم يكن من القوة بالقدر الذى يمكنه من مقاومة تيار التفاعل اللغوى، فاختفت آثاره فى اللهجات السودانية الحديثة، أو انزوى فى ركن قصى منها، فبينما نجد آثاراً من اللهجات اليمنية — أعنى لهجات المنطقتين ٤، ٥ — متمثلة فى لهجات السودان إلى يومنا هذا، نجد ظواهر أخرى منها. روتها المصادر القديمة، ليس لها تأثير يذكر فى لهجات السودان اليوم، أو لعله تأثير قليل ضئيل. خذ مثلا إبدال لام التعريف ميما فى لغة حمير كقولهم طاب امهواء، وركب امفرس، ويسمى هذا الإبدال طمطمانية حمير، ومنه بقية فى معظم لهجات مصر فى لفظ امبارح (أى البارح وهو أقرب يوم مضى)، ويستثنى أهل مديرية الشرقية إذ يقولون (البارح) كما يقول جمهور العرب(١). فهذا الإبدال أو هذه الطمطمانية قلما وجدناه فى لهجات السودانيين، فهم يقولون

---

(١) مميزات لغات العرب لحفنى ناصف ص ١٢

البارح ، وإن كنا نعثر في بعض الأحيان على من يقول في (المبارك) .
أمْبارك ، أنْبارك ، ولكن مثل هذا قليل نادر في لهجاتهم . وكذلك
لا نجد عندهم أثراً لما روى عن أهل اليمن من إبدال السين تاء كقولهم
النات بدلا من الناس، وهذا ما يسمى بالوتم(١) ، وماروى في لهجات
بالحارث وخثعم (من شمال اليمن وأواسطه) من أنهم يجعلون المثنى
بالألف مطلقاً فيقولون يداه ورجلاه وأذناه في جميع الحالات ، وأنهم
يقلبون كل ياء بعد فتحة ألفاً فيقولون جئت إلاك ومررت علاه
يريدون إليك وعليه (٢) .

---

(١) يقول الأستاذ تمان (كل الكلمات التى يوجد فيها إبدال السين تاء مشكوك فيها) (مجلة كلية الآداب (١٩٤٨) ص ١٨)

(٢) انظر كذلك ما نسب إلى قبائل اليمن في مقال لتمان المشار إليه ؛ وفي حفني ناصف ٣٠ ، ٣٢ ، وفي رابين ٢٥ وما يليها .

الفصل الثانى

نماذج من اللهجات القديمة وآثارها فى السودان

فى الحروف والحركات

١ - لما كانت الهمزة حرفاً شديداً مستثقلا يخرج من أقصى الحلق ، آثر كثير من اللهجات - منذ القدم - التخلص من الهمزة بالإبدال أو الحذف . وقد نسب عدد من العلماء الأوائل تخفيف الهمز إلى الحجازيين وأوردوا فى ذلك شواهد كثيرة من القرآن والحديث والشعر ، كما نسبوا تحقيق الهمزة إلى التميميين . ولا يجوز أن نأخذ هذا الحكم مأخذ الصحة المطلقة لاعتبارين : أحدهما أن الأخبار تدل على أن بعض الحجازيين كانوا يحققون الهمزة ، وأن بعض التميميين كانوا يخففونها ، وإن كانت لهجات الحجاز بصفة عامة أكثر ميلا إلى التخفيف . والثانى أن تخفيف الهمز لم يكن مقصوراً على منطقة دون سائر مناطق اللهجات القديمة ، وإنما كان فاشيا فى كثير منها ، وإن تفاوتت صوره ودرجاته (١) . ولعل انتشار هذه الظاهرة قديماً ، كان من أهم العوامل التى أتاحت للهجات الحديثة فى شتى الأقطار العربية

---

(١) لتمان (المقال المشار إليه) ص ٢١-٢٤ ، برجشتراسر (التطور النحوى) ص ٢٧ ، ابن الحنبلى (بحر العوام) ص ٣٨ - ٣٩ ، ٤٤ ، ٥٣ ، زابين ٣٣ ، ١٣١ ، ١٤١

أن تتوسع فى تخفيف الهمز حتى أصبح على مر الزمن سمة مشـــتركة بينها جميعاً .

ولهجات السودان كسائر اللهجات الحديثة تميل إلى تخفيف الهمز بالإبدال أو الحذف ما وجدت إلى ذلك سبيلا. فهى فى الأغلب الأعم تحذف الهمزة فى سياق الكلام فتقول ـ مثلا : يا سْماعِيلْ خُوى (يا إسماعيل يا أخى) وتقول : ماظنِّى نا ملا فيه (ماظنى أنا ملافيه) فتسقط فى السياق همزة إسماعيل وأخوى وأنا . وتحذف همـــزة الاستفهام باطراد، كما تحذف الهمزة إذا جاءت متطرفة فى نحو : السَّما ، الهوا ، جا (أى السماء والهواء وجاء). والهمزة فى وسط الكلمة قد تسقط أو تبدل أو تبقى على حالها . فمن الأول قولهم مَرَه (مرأة) ، ومن الثانى قولهم بايع وقايل (بائع وقائل) . وقد تبدل الهمزة عينا فى مثل سَعَل يَسعَل وَجعَر يجعَر (سأل يسأل وجأر يجأر) . وفى مضارع الأفعال التى تبدأ بالهمزة فى مثل يؤانس ويؤاخذ ويؤاخى ويؤالف ، قد تبقى الهمزة على حالها كما فى لهجة فى شمال السودان ، وقد تبدل واوا فتصير يوانس ويواخد ويواخى ويوالف .

والراجح أن هـذه الظاهرة قـد تسربت إلى لهجات السودان من مصادر متعددة ، فإن لها نظائر فى اللهجات القديمة على اختلافها (٢) . غير أن هناك ظاهرة ، من هذا القبيل ، تشيع فى لهجات الســودان ،

---

(١) أنظر المراجع المشار إليها آنفاً

وترجح أن لها مصدراً معيناً من لهجة قديمة ، وان كان من الصعب تحديده ، وهو إبدال الواو ميما فى ألفاظ معينة ، مثل ما خد (آخذ) وما بى (آبٍ اسم فاعل من أبى أى رفض) وماكل (آكل) فنى الخطوة الأولى من الإبدال ، فيما نظن ، أبدلت الهمزة واوا ، وهو حرف من حروف الشفة ، ثم تحولت الواو إلى حرف آخر من جنسه (شفوى) وهو الميم . ويضاف إلى هذه الكلمات كلمة ترد فى بعض لهجات البطانة والجزيرة بالسودان ، وهى (ملّاهو) بمعنى إلا هو . يقول شاعرهم :
غير الليله ما لقيت من حبيب ملاهو (أى لم أجد منذ اليوم حبيباً سواه)
ويقــال : منو مِلّاك البِجيب لينا الخير (أى من سواك يأتى لنا بالخير) ، وهذا إبدال قديم فى الغالب ، وله نظير فى بعض لهجات الشام . إذ يقال ما خد وما كل . وفى لهجة الجزائر يقال : ما كل وبيت المـَكْله أى حجرة الأكل . وهناك أداة الاستفهام (أين) ففى لهجات السودان تبدل الهمزة واواً (وين) وفى معظم لهجات مصر تبدل فاء (فين) والواو والفاء كلاهما كالميم من حروف الشفة .

وتحذف الهمزة فى صدر الكلام أحيانا كما فى كلمة (ساس) وهى عامة فى لهجات السودان ينطقونها هكذا بدون همز . يريدون الأساس الذى يشاد عليه البناء . وهو حذف قديم لا يزال ماثلا فى لهجات بلاد المغرب وتونس وفى مالطة وقوصرة من جزائر البحر الأبيض(١).

(١) الجمانة فى إزالة الرطانة لمؤلف مجهول (ط ١١٥٣) ص ٣٤ تعليق الناشر

٢ — غير أن هنـــاك احتمالا بأن إبدال الهمزة فى أول اللفظ لاما إذا دخلت عليه لام التعريف أو أداة الموصول (أل) ، أثر من لهجات الشمال الغربى (القضاعية الكهلانية) . وهذا الإبدال شائع فى اللهجات السودانية ، يقولون فى الإصبع والأرض والأسد والأمين ، والإبل : اللصبع واللرض واللسد واللمين واللبل ، بلامات مشددة ، أصلها همزة قلبت من جنس لام التعريف وأدغمت فيها. ويقولون (داك اللّسمو على) أى هذا الذى اسمه على ، (التّمساح بِشيلَ اللّجَـلُو تمْ) أى الذى أجله تم ، فيقلبون الهمزة لاما ويدغمونها فى لام أداة الوصل (أل)(١) . وهـذا الإبدال لهجة قديمة حكاها الكسائى والفراء قالا : (ومن العرب من يقلب الهمزة لاما . . . . فيقول : اللحمر فى الأحمر، واللرض فى الأرض . وكأن أهل هذه اللغة نكبوا عن تحريك هذه اللام فقلبوا الهمزة من جنس اللام)(٢) . ومما يلفت النظـر أن هذه الظاهرة موجودة فى أسماء بعض العشـــائر التى تعيش فى الوقت الحاضر فى منطقة الشمال الغربى من الجزيرة العربية ، وفى الوجه البحرى فى مصر . ففى شبه جزيرة سيناء عشائر تسمى (اللحيوات) وأصلها الإحيوات ، ويقال إنهم من طىء ، وقيل من جذام . وفى البحيرة والغربية عشائر اللزد ، أى الأزد ، وهم ينتسبون إلى عرب الحجاز(٣).

(١) (أل) فى لهجات السودان للتعريف وللوصل كما سنبين بعد

(٢) ابن يعيش ١١٦/٩

(٣) ويعيش الآن فى المنطقة الشامية وبعض جهات العراق عشائر يحمل =

ومن الأسماء المعروفة فى قرية بنى حرام التابعة لمركز ديروط فى صعيد مصر : عبد اللمام (أى عبد الإمام) . ومن المحتمل أن بنى حرام هؤلاء هم الذين تحدث عنهم المقريزى وذكر أنهم فرع من جذام ، ومنهم بطون سكنوا فى جهات شتى من مصر (١) . وهذا يدعونا إلى القول باحتمال أن تكون هذه الظاهرة من بقايا بعض لهجات المنطقة الشمالية الغربية .

٣ — ويحتمل أن تكون هذه المنطقة ذاتها مصدراً لظاهرة أخرى من هذا القبيل ، وهى إبدال الهمزة المبدوء بها عينا . وهذا يذكرنا بما أسماه الرواة بالعنعنة ، والروايات فى شأنها كثيرة مضطربة. ولكن يبدو من تأملها أنها تطلق فى حقيقة الأمر على ظاهرتين مختلفتين : إحداهما لتميم ومن جاورهم من قبائل نجد ، يجعلون همزة (أن) المخففة والمشددة، إذا كانت مفتوحة ، عينا ، مثل: لابد عن نفعل كذا (لابد أن) ، وأشهد عنّك رسول‌الله. وعليها رويت بضعة شواهد من شعر ذى الرمة ومجنون بنى عامر وابن هرمة وجران العود وكلهم ذوو صلة ببادية نجد (٢) . ومعظم روايات الأوائل تتفق على أن هذا

= أسماء تظهر فى أولها اللام المشددة . ومن المحتمل أن بعض هذه اللامات نتج من إبدال الهمزة لاما وإدغامها فى لام التعريف (أنظر معجم القبائل لكحالة ١٠١٣/٢ ، ١٠١٤ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩)

(١) البيان والإعراب ٦٢ ـ ٤ .

(٢) اللسان (عنن) ، الخصائص ٤١١/١ ، ابن يعيش ٨/١٠ ، خزانة ٥٩٦/٤

النوع من الإبدال يقتصر عند التيميين على (أن) المخففة والمشددة. وإذا عدنا إلى لهجات السودان وجدنا أن لا أثر لهذه الظاهرة فيها.

أما الأخرى التي تعنينا فهي عنعنة قضاعة. وإليها أشار الثعالبي(١). ولكنه حين ساق لها الأمثلة أورد ما يُستشهد به عادة لعنعنة تميم. ويبدو أن السيوطي (٢) قد التبس عليه أمرهما حين نسب العنعنة إلى تميم وقيس ثم مثل لها بقوله: (فيقولون في أنك عنك، وفي أسلم عَسلم، وفي أذُن عذُن)، فالمثلان الأخيران لا ينطبقان على عنعنة تميم كما وصفتها الروايات القديمة. وفي رأينا أنهما أقرب إلى أن يكونا من عنعنة قضاعة التي يبدو أنها توسعت في إبدال الهمزة الأولى عيناً حتى شمل الأسماء والأفعال. كما شمل الهمزة المفتوحة وغير المفتوحة. وقد يؤيد هذا بقية لا تزال ماثلة في بعض أسماء الأمكنة الواقعة في فلسطين، مثل (عسقلان) أصلها في العبرية بالهمز أشقلون، و(كفرعانا) وأصله بالهمز في العبرية (أونو). أضف إلى هذا عدداً من أسماء النبات التي تدل القرائن على أنها انتقلت قديماً من بيئات الشمال الغربي إلى اللغة الفصحى، فوجدنا لها صيغتين إحداهما بالهمز والأخرى

---

(١) فقه اللغة ص ١٠٧ (وانظر المزهر ٢٢١/١ تعليق الناشر). أما الطبعة الحديثة التي حققها الأساتذة: السقا والأبياري وشلبي (١٩٠٤) فقد ورد فيها (تميم) بدلا من قضاعة.

(٢) المزهر ٢٢١/١ - ٢٢٢

بالعين مثل : الأُتُم والعُتُم وهو زيتون البر ، والعثكول والعثكال والإثكال ، وهو فى النخيل بمنزلة العنقود فى الكرم. والصيغتان تمثلان لهجتين من لهجات الشمال غالباً، ويبدو أن الصيغة الهمزية كانت لهجة بعض قبائل الشمال غير القضاعية ، وأن الصيغة الأخرى تسربت إلى الفصحى من طريق قضاعة .

والواقع أن العنعنة إحدى سمات لهجات قضاعة التى تميل بصفة عامة (كما سنرى بعد) إلى تفخيم الأصوات والجهر بها، وهى إن أشبهت تميما من هذه الناحية ، لصفة البداوة المشتركة ، تختلف معها فى خصائص الظاهرة كما رأينا . ومن الواضح أن الهمزة — كما يقول الدكتور ابراهيم أنيس — ليست من الأصوات المجهورة أو المهموسة . فعند ما أرادوا أن تكون أوضح فى السمع وأجهر فى الصوت ، استبدلوا بها العين لأن العين صوت مجهور ، وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجاً (١) .

والعنعنة قضاعة نظائر فى لهجات السودان. ففى منطقة الشايقية (٢) يقولون : عُضُن وعَضْنين وعَضَان (أى أذن وأذنان وآذان)، ويقول أحدهم لصاحبه : بالله عليك عِلَّ كان تجيى الليلة (أى أقسمت

---

(١) اللهجات لابراهيم أنيس ص ٩٨

(٢) تقع بين الشلال الرابع واقليم الدبة

عنيك إلا حضرت اليوم)، ويقولون : العَفْيون بدل الأفيون (وهو الثمر المخدر) . وقد تسمع هذه العنعنة فى منطقة الجزيرة ، فى الكاملين وودمدنى وغيرهما(١). وهناك طائفة من أسماء الأمكنة فى شمال السودان تظهر فيها العنعنة إذا قورنت بالأصل . مثال ذلك : عطبره (وقد ينطق على الأصل أتبره)، العطمور (صحراء) وأصله (أتمور) كلمة بجاوية معناها الأرض السهلة ، دنعيلا العُرضى وأصلها الأوردى ، وتظهر العنعنة فى غرب السودان أيضاً ، فى قبائل الكبابيش بكردفان ، فيقلبون الهمزة عيناً فى بعض الأحيان ، وخاصة فى الأسماء . فمن أسمائهم المتعارفة بينهم إسم (ألجاك) (٢) (اسم علم معناه الذى جاءك) ينطق أحياناً (عجاك) (٣) .

٤ — والجيم تنطق فى عامة اللهجات السودانية كالجيم الفصيحة (كما هو الحال فى صعيد مصر) إلا إذا اجتمعت الشين والجيم فى كلمة غالباً ، أوالراء والجيم أحياناً ، فحينئذ تقلب الجيم دالا ، مثل : الشّدره الدّحش، الولد اشادر ، الدّيش، يريدون الشجرة والجحش وتشاجر

---

(١) من رسالة لهجات الجزيرة لعبد الحميد طه (مخطوط)

(٢) الجيم فى اللهجات السودانية من الحروف الشمسية التى تدغم فيها لام التعريف (أو لام أداة الوصل أل) وبشدد الحرف الذى يليها ، وعلى هذا يقولون فى نطق ألجاك – أجّاك بتشديد الجيم ، وكذلك فى الجمل والجاهل وما شاكلهما .

(٣) ذكرياتى فى البادية لحسن نجيلة ص ٢٢٠

وا الجيش . ومن اجتماع الراء والجيم قولهم : « دَرْدَرْني الفقر » أي جرجرني الفقر ، وتعنى مرغنى فى التراب ، وقولهم دَهمور أى جمهور . وهذا الإبدال كله موجود فى صعيد مصر ، لا سيما فى جنوب مديرية سوهاج وفى مديريتى قنا وأسوان ، وفى الجانب الشرقى النيل من مديرية أسيوط (١) . وأشار علماء المغرب فى القرن التاسع الهجرى إلى وجود هذه الظـــاهرة فى لهجات تونس والأندلس ، إذ يقـال ـ مثلا ـ الدشيش بدل الجشيش (وهو الطحين الخشن) . ويعلق الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب على هـذا الإبدال بقوله : « وهو شائع فى البـلاد المغربية من قديم ، ومن بينها تونس والأندلس ، وأصله اجتماع الجيم مع حرف من حروف الصفير . وفى اللهجات المغربية يقولون : الدشره للقـرية الصغيرة (الجسرة) ، الدزيره (الجزيرة) ، الدسر (الجسر) . المزدره (المجزرة) وقس عليه» (٢) . ويحتمل أن يكون هذا الإبدال من تأثير بعض اللغات الحامية فى إفريقيـــة . وإبدال الجيم دالا ، موجود فى بعض اللغات الحاميـة القديمة والحديثة (٣) . ومما يقرب احتمال التـأثير الحامى فى لهجاتنا الحديثة فى إفريقيـة ، بالإضافة إلى

---

(١) لهجات الجزيرة لعبد الحميد طلب (مخطوط) ص ١٢٧

(٢) الجمانة فى ازالة الرطانة (تعليق الناشر ص ٢١)

(٣) فى بعض اللهجات القبطية الصعيدية أبدلت الجيم دالا أو تاء فى بعض الـكلمات كما اخبرنى بذلك الدكتور مصطفى الأمير أستاذ التاريخ المصرى القديم بجامعة القاهرة .

وجود شيء من هذه الظاهرة في بعض اللغات الحامية ، أننا لا نكاد نجد لها نظائر في اللهجات العربية القديمة .

٥ — والقاف لها ثلاث صور من النطق في اللهجات السودانية ، فقد تنطق كنطق الحرف g في الكلمة الإنجليزية go (ڨ) ، وهو النطق الأصيل في لهجاتهم ، والغالب عندهم ، وقد تنطق كافاً في عدد من الكلمات ، وتنطق مشوبة بالغين في حالات معينة. ولكل صورة من تلك الصور مصدرها القديم. ولا نعرف نظيراً للقاف الفصيحة في اللهجات السودانية ، على الرغم من أنها كانت شائعة في نطق الأندلسيين في لهجاتهم العربية ، كما أنها لا تزال مستعملة إلى يومنا هذا في جهات من العالم العربي ، في بعض لهجات الشام ومصر والمغرب (١) . كذلك لا نعرف في لهجات السودان نظيراً للقاف التي تنطق كالهمزة في القاهرة وبعض حواضر الوجه البحري وسوريا (٢) .

ويظهر أن القاف الفصيحة ذاتها كما ننطقها اليوم لا تمثل النطق الذي كان شائعاً عند الفصحاء القدامى من الحجازيين في صدر الإسلام ، فقد وصفت القاف في المصادر القديمة بأنها شديدة مجهورة (٣) ، في حين

---

(١) قارن مقالا لجورج صبحي في مجلة المجمع المصري للثقافة (١٩٣٥) ص ١٠٩ . الزجل للدكتور عبد العزيز الأهواني (المقدمة ص دح)

(٢) وهو أيضا نطق له أصول قديمة (أنظر مقال لتمان في مجلة كلية الآداب ١٩٤٨ ص ٢٢)

(٣) ابن يعيش ١٠/١٢٩

نجد القاف الفصيحة التى نعرفها اليوم شديدة مهموسة . وهذا يعنى أنها كانت فى الفصحى ـ فى خلال القرن الأول الهجرى ـ تشبه إلى حد بعيد صوت القاف الذى ينطقه اليوم أهل السودان وصعيد مصر وأكثر أرياف الجزائر(١) ، فى مثل قولهم: ساقيه ، دقيق ، قال (أى ساقية ودقيق وقال) . وتدل القرائن على أن هذه القاف كانت معروفة كذلك لغير الحجازيين ، فقد روى أنها كانت مستعملة فى جهات من اليمن (٢) . ومما يلفت النظر أن نجد فى معاجم الفصحى عدداً من الألفاظ وردت بالقاف والجيم ، مثل : المقذاف والمجذاف ، التقادع والتجادع ، القذ والجذ ، القرح والجرح ، القص والجص. وقد يكون فى هذا الازدواج دليل على أن الحجازيين فى لهجاتهم القديمة كانوا ينطقون القاف مجهورة (ق) ، فلما سادت الفصحى بينهم ، وحملت معها القاف المهموسة ، وامتصت قدراً من لهجات الحجاز ، التقى الصوتان فى الفصحى فى تلك الأمثلة التى وردت أحياناً بالقاف المهموسة ، وأحياناً أخرى بالمجهورة التى رسمت فى الخط جيما ، إذ لم يكن لها حينئذ فى الكتابة حرف معبر عنها .

أما قلب القاف كافاً فى لهجات السودان ، فيظهر فى كلمات قليلة

---

(١) أما أهل الحواضر فى الجزائر فينطقونها قافا فصيحة كالأندلسيين فى العصور العربية .

(٢) المزهر ١/٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، الإكليل للهمدانى ص ٢٩ ، قارن داين ص ١٢٠ .

مثل: كتل (قتل)، وَكِتْ (وقت)، بُرتُكان (برتقال)، فكى (فقيه).
ولا شك أن هذا الصوت هو الذى وصفه ابن سينا الفيلسوف (ت ٤٢٨ هـ) بقوله: (وأما الكاف التى تستعملها العرب فى عصرنا هذا بدل القاف فهى تحدث حيث تحدث الكاف إلا أنها أدخل قليلا والحبس أضعف) (١). وهو صورة من صور القاف المهموسة التى انتشرت فى لهجات نجد القديمة والتى عبر عنها القدماء بلغة تميم، وكانت تشمل قبائل عديدة من قيس وأسد، ورووا لشاعر تميم قوله:

ولا أكول لكدر القوم كد نضجت
ولا أكول لباب الدار مكفول (٢).

هذه القاف القريبة من الكاف هى التى أطلق عليها (القاف المعقودة). وقد انتقلت مع الهلالية وأحلافهم من القيسيين منذ القرن الرابع الهجرى إلى أقطار شتى فى افريقية، والأندلس. وربما تطور نطقها قليلا فى بعض هذه الأقطار حتى صارت لاتفترق عن الكاف المعروفة. وشاعت فى لهجات الأندلس منذ القرن السادس الهجرى (٣). وعرف بها عربان أهل البادية فى مصر فى أيام المماليك حتى كان هؤلاء يطاردون العربان فى المعارك ويميزونهم بهذه الكاف، (فكان إذا ادعى أحد منهم أنه حضرى قيل له: قل دقيق، فإن قال: دقيق بالكاف

---

(١) أسباب حدوث الحروف (١٣٣٢ هـ) ص ١٠
(٢) الصاحبى ٢٥، المزهر ١/٢٢٢ — ٢٢٣
(٣) نفح الطيب ١/٦٠١

لغات العرب قُتل ، وإن قال بالقاف المعهودة أطلق)(١) . وتحدث ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) عن هذه القاف المعقودة ، وعدها من خصائص البدو فى الأقطار العربية شرقا وغربا (حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال مختصاً بهم لا يشاركهم بها غيرهم .... ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها ، فإن هذا الجيل الباقين معظمهم ورؤساؤهم شرقا وغربا من ولد منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان من سليم بن منصور ، ومن بنى عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور . وهم لهذا العهد أكثر الأمم فى المعمور وأغلبهم ، وهم من أعقاب مضر . وفى سائر الجيل منهم فى النطق بهذه القاف أسوة . وهذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل ، بل هى متوارثة فيهم متعاقبة ، ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين)(٢). والواقع أنها كانت لهجة مضر الأولين من أهل نجد . وانتقلت آثارها قديماً إلى الفصحى ذاتها ، فظهر فى معاجمها عدد من الألفاظ تجمع بين الكاف والقاف مثل : قنع وكنع ، بقع وبكع (ى ذهب وانصرف) كاتله الله وقاتله الله، القهبة والكهبة (وهى البياض الضارب إلى الغبرة) ، وما ذقت من هذا الطعام لواقا ولواكا أى شيئاً ، عربى قح وعربى كح أى خالص (٣) .

وظهرت آثار القاف المعقودة فى اللهجات الحديثة على تفاوت ،

(١) النجوم الزاهرة ٨/١٥٣

(٢) المقدمة لابن خلدون (ط المكتبة التجارية بمصر) ص ٥٥٧ — ٥٥٨

(٣) أنظر اللهجات للدكتور ابراهيم أنيس (١٩٥٢) ص ١٧٩

فهى كثيرة فى لهجات المغرب ، وفى قرى فلسطين ، وهى قليلة جداً فى لهجات مصر ولا نسمعها عادة إلا فى الصعيد ، ثم هى قليلة فى لهجات السودان على نحو ما ذكرنا من قبل .

أما الصورة الثالثة من نطق القاف عند السودانيين ، فهى القاف المشوبة بالغين ، وتخرج من أقصى الحنك رخوة مجهورة . وهى شائعة فى لهجات السودان ، وتظهر على أشدها فى الشرق والشمال ، وتقل كلما اتجهنا غرباً حتى تكاد تختفى عند عرب دارفور . ويتجلى هذا النطق عادة عندما يحكى السودانى القاف الفصيحة ، كأن يتلو نصاً فصيحاً أو يعبر بكلام فصيح. ولعل مصدر هذا النطق بعض لهجات المنطقة اليمنية الجنوبية وامتدادها فى اثيوبيا . ولا تزال اللغة التجرينية فى إثيوبيا ، تقلب القاف غينا فى مثل تقبل فتقول (تغبل) (١) . ولما نقل أهل اليمن كلمة (بقل) بالقاف من لغات الحبشة إلى لغتهم ، وأعاروها أهل الشمال فى الجاهلية ، وصلت إلى الحجازيين بالغين (بغل ، وهو اسم الحيوان المعروف) (٢). ولا تزال بقايا هذه القاف التى تشبه الغين فى بعض لهجات اليمن الحديثة . ففى لهجتى تعز والحجرية يقال : التبغ فى التاغة يريدون الطابق فى الطاقة (٣) .

---

(١) أولندورف Ullendorff, Sem. Lang. of Ethiopia (1955) p. 20

(٢) قارن برجشتراسر فى التطور النحوى ١٤٦ ، ١٤٧

(٣) د. خليل نامى [مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة مايو ١٩٤٨] ١٠/١ ص ٧٤ . وأنظر تعليق انستاس الكرملى على الخلط بين القاف والغين فى نسخ بعض المخطوطات اليمنية (بلوغ المرام تأليف العرشى ١٩٣٩ ص ٢٤١)

ولا نحسب أن نطق هذه القاف مشوبة بالغين ، فى السودان ، أو فى اليمن وإثيوبيا ، وليد تأثير إفريقى حامى . فهناك عدد من الألفاظ نجدها فى معاجم الفصحى بالغين المجهورة والقاف المهموسة مثل : غثم له من المال وقثم ، والغمس والقمس (أى الغوص) . بل إن نطقها قريباً من الغين كان فى الغالب نموذجا ساميا قديما (١) . فإذا وجدنا فى اللغة النوبية (وهى حامية الأصل) صوتا يخرجونه بين القاف والغين ، فهو لم يرد فى الواقع إلا فى كلمات قليلة نادرة (٢) ، مما يدل على أنه دخيل على لغة النوبة ، ومن المحتمل أنهم استعاروه من بعض العرب الوافدين على بلادهم منذ زمن بعيد .

٦ — والذال المعجمة تتعدد كذلك صور النطق بها فى لهجات السودانيين كما تتعدد مصادرها . وليس لصورة الذال كما ننطقها فى الفصحى ، نظير مطابق فى اللهجات السودانية ، وإنما يستبدلون بها أحد أصوات ثلاثة : الزاى أو الدال أو الضاد .

أما إبدال الذال زايا ، كقولهم أحزَر (احذر) ، الزمم (الذمم) ، العُزُر (العذر) ، عزّب وعزاب (عذب وعذاب) ، الزوق (الذوق) ، فقد نشأ غالباً كما نشأ فى معظم اللهجات الحديثة ، نتيجة حكاية صوت الذال الفصيحة دون إخراج طرف اللسان . ومثل هذا الإبدال لا يمثل

---

(١) الأصوات اللغوية ، د. ابراهيم أنس ص ٧٢

(٢) اللغة النوبية لمتولى بدر ص ٤٢ ، ٥٢

عنصراً لهجياً أصيلا ، وإنما هو أمر مكتسب من تأثير اللغة الفصحى .
وهو يشبه إبدال الثاء سينا فى لهجات السودان وغيرها ، فى مثل قولهم
ميراس (ميراث) ، حديس (حديث) ، أسبت حقُّو (أثبت حقه) ،
ويشبه أيضــاً إبدال الظاء الفصيحة زايا مفخمة فى قولهم : ظنيت ،
وقولهم : صلاة الظهر (بزاى مفخمة) . فهذه الكلمات وأمثالها انتقلت
من الفصحى إلى اللهجات الدارجة ، من طريق انتشار أساليب الوعظ
والعبادة والتعليم والتعامل الدينى والتجارى بين العامة ، حتى كثر
دورانها على ألسنتهم ، وحاكوا ما صادفوه فيها من ذال أو ثاء أو ظاء
دون أن يكلفوا أنفسهم إخراج طرف اللسان فى أثناء النطق ، فتحولت
الذال زايا والثاء سينا والظاء زايا مفخمة ، ودخلت على هذا النحو فى
لهجاتهم ، فهى فى الواقع طارئة عليها ، ولا تعد فى صميمها . وقد نجد
للفظ فى السودان صورتين من الإبدال . إحداهما مكتسبة من الفصحى
والأخرى لهجية أصلية ، كقولهم العزر والعُضُر ، الزّوق والضوق
الظُّهر والضُّهر .

أما إبدال الذال دالا فهو كإبدال الثاء تاء والظاء ضاداً يمثل
تطوراً طبيعياً فى اللهجات الحديثة عامة . فقد كانت نواته قديمة ،
ويروى أن بنى ربيعة كانت تبدل الذال دالا فى بعض الألفاظ(١) .
ولعل هذا الإبدال كان فى القديم أوسع نطاقاً مما حفظته لنا الروايات .

(١) ويروى أن أهل خيبر فى الحجاز كانوا ينطقون التاء عوضا عن الثاء
(انظر ليتان [المقال المشار إليه] ص ١٦ ، ١٧)

ومن الثابت أن اللغة الآرامية التي كانت ذات تأثير بالغ فى كثير من لهجات العرب قبل الإسلام وبعده ، كانت تبدل الذال دالا بصفة مطَّردة . ولا شك أن اللهجات الحديثة عامة قد أباحت انفسها أن تتوسع فى هذا الإبدال على مر الزمن حتى صار سمة مشتركة بينها جميعاً . وهو أكثر صور الذال شيوعاً فى لهجات السودانيين ، يقولون : الدهب (الذهب)، الخوده (الخوذة التي يلبسها الفارس)، الدره (الذره)، دى مدالق السيل (هذى مذالق السيل أى منحدراته) ويقولون : جبد (جبذ مقلوب جذب) ، داب (ذاب) ، أخد (أخذ) الخ ...

غير أنهم كثيراً ما يبدلون الذال ضاداً (١) ، فيقولون ؛ كضاب (كذاب) ، ضبح الضبيحة (ذبح الذبيحة) ، الورد ضبل (ذبل) ، ضيل الكبش (ذيله) ، أُضِن وعضن (أذن) عضر (عذر) ، لاضاي الحريرة ولا الضريرة (لم يذق طعام الحريرة ولا الطيب الذى يسحق ويذر على الرأس وهوالذريرة ، مثل يضرب لمن لم يجرب متع الحياة) ، ما تتعضَّر (لا تعتذر) ، ضرّى القمح (ذراه) ، الضّيب (الذئب) ، الضّنَب (الذنب) ، الضراع (الذراع)، الضّرا (الذرى أى المأوى)، ضِهب (ذهب) الخ .. ولهذا الإبدال نظائر فى صعيد مصر، ففى جهات أسيوط ، كبنى رافع والحواتكه وغيرهما ، يقولون الضُرَه (الذره) ، يضوق (يذوق) ، الضّرا (الذرى وهو المأوى الذى يستظل به) .

(١) وقد تبدل الدال الفصيحة ضادا كذلك فيقولون الضرب [الدرب] ، ضنقلا [دنقلا] الخ ...

وفى مركز طهطا يقول عرب الهله(١) : خُضَىْ بدلا من خذى (٢) .
وفى الصحراء الشرقية ، فى صعيد مصر ، بقعـــة تسمى بير الجضامى
(أى بئر الجذامى)(٣) .

وفى تعليل هذا الإبدال احتمالان : أحدهما أن تكون لهجة قديمة مالت إلى تفخيم الذال حتى صيرتها ظاء ، ثم تحولت الظاء على مر الزمن إلى ضاد . وتبادل الظاء والضاد له شواهد قديمة . وروى أن قضاعة كانت من القبائل التى مالت قـــديماً إلى قلب الظاء ضاداً فى بعض الألفاظ (٤) . والاحتمال الثانى أن تكون الذال قلبت دالا فى لهجات قديمة ، ثم صادفت الدال لهجة تميل إلى التفخيم فصارت ضاداً . وفى كلا الاحتمالين يظهر أن مصدر هذا الإبدال بعض اللهجات القديمة التى مالت إلى تفخيم الأصوات بصفة عامة . وتدل القرائن على أن قضاعة من أكثر القبائل التى تمثلت فى السودان ميلا إلى تفخيم الأصوات . أضف إلى ذلك أن الجهات التى انتشر فيها هذا الإبدال فى صعيد مصر ، كأسيوط ، والصحراء الشرقية ، كانت لفـــترات

---

(١) أخبرنى الشيخ ابراهيم أبو النور أحمد علماء السودان أنه من أحفاد عرب الهلة الذين هاجروا إلى السودان ، وحكى أن أصلهم عرب الحلة بالحاء ولكن اشتهروا بالهاء بتأثير اختلاطهم ببعض النوبيين .

(٢) لهجات الجزيرة لعبد الحميد طلب [مخطوط] ص ١١٣

(٣) البيان والاعراب ص ٨٢ .

(٤) اللسان مادة قبض وقبظ ، لثمان [المقال المشار اليه] ص ٢٠ .

من الزمن موطنا لبطون من جهينة وبلى القضاعيين (١) . والحواتكة بلدة بالقرب من منفلوط سميت باسم جماعة من قضاعة كانوا قد سكنوها ، هم بنو حوتكة ، وهم من الجماعات التي ارتبطت بجهينة في الهجرة إلى مصر (٢) .

٧ - على أن اللهجات السودانية تقدم لنا نموذجاً من التفاعل اللغوى الذى حدث بين صنفين - على الأقل - من اللهجات القديمة : صنف يحكمه ميل عام إلى تفخيم الأصوات ، وصنف يجنح إلى ترقيق الأصوات . وقد امتزجت آثار هذين الصنفين فى اللهجات السودانية حتى صار من العسير أن يحكم المرء على مزاجها العام ، أهو إلى التفخيم أو إلى الترقيق أقرب ، وأن يضع مقياساً صوتياً داخلياً يعلل به كل التغيرات التى تحدث فى الكلمة فترقق أصواتها حيناً ، وتفخمها حيناً آخر . فالعلة لما يحدث من تغيرات فى هذا النوع من الكلمات ، ترجع أولا وقبل كل شىء إلى طبيعة اللهجة التى صدرت عنها . وكان من أثر هذا أن اتسمت بعض الحروف فى اللهجات السودانية بالمرونة بحيث تستطيع أن تظهر مرققة حينا ومفخمة حينا آخر ، تبعا للمزاج العام للكلمة .

٨ - وهناك نموذج من الترقيق فى اللهجات السودانية ، يرجع

---

(١) البيان والاعراب : ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٤٤٣

إلى آثار لهجات قديمة ، ولكن فى مقدور المرء أن يجد له تعليلا داخلياً ، فمن ذلك مجىء الغين والخاء مرققين غالباً فى اللهجات السودانية ، وتأثير كل منهما على ما جاوره من أصوات الكلمة ، ولا سيما إذا كان مقدما عليها ، حتى الحروف المطبقة فإنها تتأثر بمجاورة الغين أو الخاء فتتحول إلى أصوات مرققة من جنسها . مثال ذلك :

ا ـ الخَيم (أى الخصم) وبالصاد أحياناً ، خسوساً (خصوصا) وقد ترد بالصاد ، المغس (المغص داء يصيب البطن) .

ب ـ الخَتَر (الخطر)، الختوه (الخطوة)، ختر ماعاد (خطار ولم يعدأى مرّ) ، ختا هالتاريق (أخطأ هذا الطريق)، خيت العنكبوت (خيط ـ)، خت (خط أى وضع وفيه إبدال الحاء خاء أيضاً)، خرت الرسن (خرط الجمل الرسن أى لواه وانطلق)، ختف (خطف) ، أتغتى (تغطى) ، غلت (غلط) ، غت (قط ، فإذا نطقوه بالقاف أظهروا الطاء فقالوا قط ، وهى ظرف الزمان)، تبيخ (طبيخ) ، بتيخ (بطيخ اسم الفاكهة المعروفة) . ونلاحظ أن الخاء فى المثالين الأخيرين وردت بعد الحرف المطبق .

حـ ـ غميد عينى (غميض عينى) ، أكلوا ام غمتى (أى أكل (الطعام) فى الخفاء دون أن يراه أحد . أصله من الغموض) ، غردى (غرضى) وقد تقال بالضاد أيضا ، غليد وغلاد (غليظ ـ غليض ،

إلى آثار لهجات قديمة ، ولكن فى مقدور المرء أن يجد له تعليلا داخلياً ، فمن ذلك مجىء الغين والخاء مرققين غالباً فى اللهجات السودانية ، وتأثير كل منهما على ما جاوره من أصوات الكلمة ، ولا سيما إذا كان مقدما عليها : حتى الحروف المطبقة فإنها تتأثر بمجاورة الغين أو الخاء فتتحول إلى أصوات مرققة من جنسها . مثال ذلك :

ا ـ الخِسِم (أى الخصم) وبالصاد أحياناً ، خـوساً (خصوصا) وقد ترد بالصاد ، المغس (المغص داء يصيب البطن) .

ب ـ الخَتَر (الخطر)، الختوه (الخطاوة)، ختر ماعاد (خطر ولم يعد أى مرّ) ، خِتَا هالتاريق (أخطأ هذا الطريق)، خيت العنكبوت (خيط ـ)، خَتْ (خطّ أى وضع وفيه إبدال الحاء خاء أيضاً)، خَرَتَ الرسَن (خرط الجمل الرسن أى لواه وانطلق)، خَتَف (خطف) ، أتغتّى (تغطى) ، غلت (غلط) ، غتْ (قطْ ، فإذا نطقوه بالقاف أظهروا الطاء فقالوا قِط ، وهى ظرف الزمان)، تبيخ (طبيخ) ، بِتّيخ (بطيخ اسم الفاكهة المعروفة) . ونلاحظ أن الخاء فى المثالين الأخيرين وردت بعد الحرف المطبق .

حـ ـ غميد عيني (غميض عيني) ، أكلُو ام غُمَيْتي (أى أكل (الطعام) فى الخفاء دون أن يراه أحد . أصله من الغموض) ، غردى (غرضى) وقد تقال بالضاد أيضا ، غايد وغُلاد (غليظ ـ غليض ،

غلاظ - غلاض)، الخيدر (الخَضِر اسم علم) ، الخدّار (الخضار أى الخضرة) .

وتدل الشواهد على أن الغين والخاء لم يتخذا فى تطور اللغات السامية عامة وضعاً مستقراً ولا محدود السمات (١). ولكن من الثابت أنهما كانتا من الأصوات المفخمة فى بعض لهجات تميم . فقد روى أنهم قلبوا السين صادا إذا وقعت قبل طاء أو قاف أو غين أو خاء(٢). وفى مقابل تميم وجد فى اللهجات القديمة من يقلب الصاد سينا إذا وقعت قبل غين أو خاء ، ومنها لهجات ربيعة أو بعضها ، فبينما تقول تميم: الصَّخب ، تقول ربيعة : السَّخب . وبينما يقول التميمى الصّماخ يقول غيره ، السّماخ . وكذلك فى الصدغ ، والصبغ وغيرهما مما ورد فيه السين لغة بدلا من الصاد (٣) . ولهذه الظاهرة آثار فى اللهجات الحديثة ، ففى لهجة أهل القاهرة يقولون : سَرَخ (صرخ) ، السَّمغ (الصمغ) ، السايغ (الصائغ) . وهذا الإبدال ، إن دل على أن الغين والخاء كانتا مرققتين فى بعض اللهجات القديمة ، كلهجة ربيعة ، ولهما أثر فى بعض اللهجات الحديثة ، فهو لا يطابق الظاهرة التى نجدها فى

---

(١) نولدكه [اللغات السامية] ترجمة رمضان عبد التواب [١٩٦٣] ص ٣١ هامش

(٢) ابن يعيش ٥١/١٠، لسان [صدغ]

(٣) انظر هذه المواد فى اللسان [صخب ، صمخ ، صدغ ، صبغ الخ ..]

فإذا استعارت من العربية كلمات من ذوات الطاء قلبتها تاء . ولا سبيل إلى إنكار ما للغة النوبية من أثر فى منطقة النوبة وما حواليها فى مصر والسودان . ويحدثنا الأدفوى فى القرن الثامن الهجرى (ت ٧٤٨ هـ) أن (أهل أسوان يقلبون الطاء تاء فى مثل التريق والتاق والتبق يريدون الطريق والطاق والطبق) (١). وقد نسمع مثل هذا من نوبة السودان، ونسمعه من البجاوية والفور ومن نحا نحوهم، وتأثر بلهجتهم (٢) . بل نسمعه من أصحاب اللغات غير العربية فى غير السودان (٣) . ولكنه بعيد كل البعد عن الظاهرة التى اتسمت بها اللهجات العربية فى السودان ، أعنى ترقيق الحرف المطبق بتأثير الغين أو الخاء . ولا تكاد تجد من أصحابها من يقول التريق والتاق والتبق كما يقولها النوبى ، وإنما ينطقون الطاء فى مثل هذه الكلمات على صورتها المفخمة كما ينطقها الفصحاء . ولا جدال فى أن ترقيق الغين والخاء وما يترتب عليه من تأثير صوتى فى الحروف المطبقة ، ظاهرة سامية قديمة ظهرت آثارها فى بعض اللهجات العربية التى عرفت قبل الإسلام وبعده .

فإذا عدنا إلى شبه الجزيرة العربية لنبحث عن أصول الظاهرة اللغوية التى اختصت بتأثير الخاء أو الغين المرققة فى الحرف المطبق

---

(١) الطالع السعيد فى أعيان الصعيد ص ١٥

(٢) مثال ذلك ما نجده عند الهواوير فى غرب السودان من قلب الطاء تاء والضاد دالا بتأثير اللغات الحامية والزنجية هناك .

(٣) أنظر فى قلب الطاء تاء عند عجم أهل العراق قديماً (ابن يعيش ١٠/١٢٨)

الذى يليها ، وجدنا أن اللغة الفصحى ذاتها قد عرفت هذه الظاهرة ، ولكنها كعادتها جمعت إليها لهجة أخرى تحتفظ بنطق الحرف مطبقاً . ففى معاجم الفصحى طائفة من الألفاظ تجمع بين اللهجتين نذكر منها على سبيل المثال :

أخسَّ نصيبه قلَّله ونقصه ، وشهرٌ خِصٌ أى ناقص .

المغْس ، المغص (داء يصيب البطن)

غطَّه فى الماء ، غتَّه (غمسه) ، الغلَط والغلَت (١) .

خطف الشىء وخدفه (سلبه واختلسه) (٢)

خضم الشىء (قطعه) ، خذم الشىء (قطعه بسرعة) (٣)

خضل النبات (ندى وابتل) ، خدلت الساق (امتلأت)

خضع له ، خذأ له (انقاد وأذعن) (٣)

غض الشىء ، غذ الشىء (نقصه) (٣)

---

(١) ورد فى اللغة صيغ أخرى بالطاء والتاء تقترن بالدال وغيرها، ومنها لها علل صوتية أخرى (راجع لتمان [المقال المشار اليه] ص ٢١) .

(٢) مرقق الطاء هنا هو الدال وليس التاء ، وذلك لأن الطاء فى بعض نطقها القديم ، كانت مجهورة شديدة ينطقونها بين الطاء المعروفة والضاد . فلما انتقلت هذه الطاء المجهورة ، فى عصور قديمة ، إلى بعض البيئات التى ترقق هذا الصوت ، صيروه دالا لكونه أقرب قسيم له

(٣) مرقق الضاد هنا هو الدال (فى خذم وخذأ وغذ) وذلك لأن الضاد فى نطقها القديم كانت كالدال المفخمة ولا يزال أهل حضرموت ينطقونها قريباً من الأصل (برجشتراسر : التطور النحوى ١٠ ـ ١١ ، لتمان ص ٢)

والغالب أن الصيغة التى احتفظت بالصوت المطبق فى الأمثلة السابقة ، ترجع إلى لهجة قديمة من اللهجات التى استوعبتها الفصحى ، لعلها لهجة تميمية ، أما الصيغة المرققة فقد تكون لهجة حجازية قديمة ، أو تكون انتقلت إلى الحجاز من بعض لهجات اليمن الجنوبية .

٩ - وهناك نموذج آخر يمت إلى السابق بصلة ، ويضيف شاهداً جديداً على أن الفصحى قد استوعبت عناصر متنوعة من لهجات شتى . فاللغويون يحدثون أن بنى العنبر من تميم أبدلوا السين صاداً إذا وقعت قبل طاء أو قاف أو غين أو خاء ، فقالوا : أصبغ عليه النعم، وصلخ :الحية جلدها ، وصاقه إلى القتال صوقا ، وصخَّره تصخيرا . وقالوا : ذهب إلى الصوق ، وصبقه إلى الخير ، وأكل الصويق الخ...(١). ومن المحقق أن بعض هذه الظاهرة قد عرفه الحجازيون قبل الإسلام واستخدموه، فأجازوا إبدال السين صاداً فى مثل صراط ومصيطر ويبصط وصقر(٢) ولعلهم أجازوا الإبدال إذا وقعت السين قبل الطاء أو القاف (والقاف أقل) . أما الغين والخاء فلا دليل على أن الحجازيين قد أبدلوا معهما السين صاداً. وهذا يعنى أن الحجازيين قد أخذوا من هذه الظاهرة بقدر ما سمحت به لهجاتهم القديمة ، وفى نطاق أضيق مما فى لهجة تميم .

---

(١) ابن يعيش ١٠/٥١ ، اللسان (صدغ) ، المخصص لابن سيده ١٣/٢٧٠

(٢) من لوطم صقرته وسقرته ، أى لوحته وأذابته .

فلما جاء دور إرساء القواعد للغة الفصحى ، فى العصور الإسلامية ، نقل النحاة الظاهرة التميمية بتمامها وجعلوها أمراً جائزاً فى الفصحى .

وقد نجد فى اللهجات الحديثة ، فى المغرب ومصر والسودان، آثاراً من الظاهرة الحجازية ، وبعض آثار تميمية لعلها انتقلت إليها من طريق القيسية أو أهل اليمامة. فنى صعيد مصر يقولون بصط وصطر وصلطان وصَـقط وصُخره ومصلوخ ، يريدون بسط وسطر وسلطان وسقط وسخره ومسلوخ . وفى لهجة الجزائر الحديثة يتخذ قلب السين صاداً نطاقاً أوسع (٢) مما نجده فى لهجات مصر والسودان . وتكاد تتفق لهجات السودان من هذه الناحية مع الظاهرة الحجازية ، فهى تقلب السين صادا إذا وقعت قبل طاء أو قاف ؛ والأكثر إذا وقعت قبل الطاء فى مثل: صطع وصلط وبسط (أى سطع وسلّط وبسط). أما إذا وقعت قبل القاف فقلما يبدلون السين صاداً ، ومن هذا القليل قولهم صبق (أى سبق) .

١٠ - والسودانيون بصفة عامة أميل إلى ترقيق الراء فى كثير من كلامهم ، وقد يجنحون بها بين الترقيق والتفخيم مع الصاد أو الضاد أو أو الطاء فى مثل قولهم : مطر ، رصّاص ، رُطانه ، ضرب ،الرضا. ولكن الغالب عندهم الترقيق فى سائر الحالات ، حتى مع القاف ،

---

(٢) انظر . N. Tapière, Manuel d'Arabe Algérien, Paris 1957

إذ يقولون : البرّاي بَرَي ، البقَر ، يرا الكتاب فيرققون الراء فيها جميعاً .

وقد تؤثر الراء المرققة فى حروف الإطباق التى تجاورها . وفى بعض لهجات الجزيرة والبطانة يقولون : سدير (صدير) ، مسدار (مصدار ، وهو المصدر) شروتن (شروطهن) ، مَرادَى (مراضى جمع مريض) ، فها هنا غلب الترقيق على أصوات الكلمة بتأثير الراء إلى حد أنهم جعلوا الحروف المطبقة ـ الصاد والطاء والضاد ـ حروفاً مرققة من جنسها (س ، ت ، د) .

على أنهم كثيراً ما ينطقون اللام مغلّظة أى مفخمة ، إذا سبقتها حروف الاستعلاء ومن بينها القاف ، فى مثل : يلبى ، يالع ، يتبالع ، معاميل ، يلم ويجمعونه على يُيلّه ، فيفخمون اللام فى هذا كله . وقد يفخمونها إذا كانت مفتوحة مشددة وسبقتها همزة كقولهم : يتألّه .

وظاهرة ترقيق الراء وتغليظ اللام عريقـــة فى لهجات المغاربة والمصريين . ولا تزال لهجة الجزائر تفخم اللام فى أكثر الأحيان ، وكذلك بعض لهجات مصر ، كلهجة عشائر البياضات (أو البياضين) الذين يقيمون الآن فى مديرية الشرقية بمصر ، ويقضون جزءاً من السنة فى التنقل بقطعانهم وماشيتهم فى أنحاء الوجه البحرى ، وفى كلامهم ميـــل ظاهر إلى تغليظ اللام إذا جاورت حروف الإطباق

والصاف (١) على نحو ما تصنع اللهجات السودانية . والبياضات هؤلاء هم فى الغالب أحفاد بنى بياضة الذين ذكر الهمدانى فى القرن الرابع الهجرى أنهم من جذام ، وأن مساكنهم كانت على حدود مصر الشرقية فى الطريق بين مصر والشام (٢) .

وترقيق الراء وتفخيم اللام سمتان ظاهرتان فى قراءة ورش المصرى (ت ١٩٧ هـ) من طريق تلميذه أبى يعقوب الأزرق المصرى (ت ٢٤٠هـ) ، وهى القراءة التى استمر المصريون والمغاربة يقرأون عليها زمانا لا يعرفون غيرها (٣) . وفيها انفرد الأزرق بمذهب فى ترقيق الراء خالف فيه سائر القراء ، كما اختص بمذهب فى تغليظ اللام لم يشاركه فيه سواه (٤) . والمعروف أن أستاذ ورش ، وهو نافع بن عبد الرحمن ، مع كونه حجازياً من أهل المدينة ، لم يكن يتقيد بقراءة أهل المدينة ، فقد كان عالماً بوجوه القراءات ، وكان يقرىء الناس بها جميعاً (٥) . والغالب أن القراءة التى أخذها ورش عن نافع ، وتلقاها

---

(١) التقيت بجماعة منهم فى قرية المحمودية بالبحيرة فى ٢٩/٤/١٩٦١ ، واستمعت إلى رجل منهم يدعى منصور نصار (حوالى ٦٠ سنة) . وقد روى لى بعض أغانيهم .

(٢) صفة جزيرة العرب ص ١٢٩ ، وقارن بالبيان والاعراب ص ٦١ حيث لسبهم المقريزى إلى ثعلبة !

(٣) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (دمشق ١٣٤٥هـ) ١/١١٣

(٤) النشر ٨٩/٢ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٨

(٥) غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى (١٩٣٣) ص٣٠٤ ، ٣٢١

الأزرق من بعد» . لم تكن فى أصولها الأولى معبرة عن قراءة أهل الحجاز (أو لهجتهم) إذ أن الحجازيين لا يفخمون اللام إلا فى لفظ الجلالة (الله ، اللهم) (١) .

١١ - ولا جدال فى أن بعض العرب - على حد تعبير الأوائل - «كانوا أشد تصويتاً من بعض» ، والراجح لدينا أن أهل منطقة الشمال الغربى ، كانوا من أكثر العرب ميلا إلى الجهر بالأصوات وتفخيمها . وتدل القرائن على أنهم هم وبعض الحجازيين مالوا إلى تفخيم الألف. ويعرّف ابن يعيش ألف التفخيم موضحاً الفارق بينها وبين ألف الإمالة فى قوله : (أما ألف التفخيم فأن يُنحى بها نحو الواو، فكتبوا : الصلاة ، والزكاة والحياة ، بالواو على هذه اللغة . وأما ألف الإمالة فتسمى ألف الترخيم ، لأن الترخيم تليين الصوت ونقصان الجهر فيه . وهى بالضد من ألف التفخيم لأنك تنحو بها نحو الياء ، وألف التفخيم تنحو بها نحو الواو) (٢) . وعنى القراء بدرجات الإمالة والتفخيم ، فجعلوا للإمالة درجات ، كما جعلوا للتفخيم درجات تختلف بين الشدة والاعتدال. والأمثلة التى يسوقونها تعنى عناية خاصة بما ورد فى القرآن الكريم من ألفاظ (وعددها ثمانية) رسمت ألفاتها بالواو (٣)، وفقاً للهجة حجازية.

---

(١) رابين ١٤٦ . وذكر ابن يعيش أنهم فخموا اللام فى لفظ الجلالة للتعظيم (ابن يعيش ٣/١)

(٢) ابن يعيش ١٢٧/١٠

(٣) هى : صلاة - حياة - زكاة - نجاة - غداة - مشكاة - مناة - الربا .

ولكن تفخيم الألف لم يكن بالحجاز وحده ، وربما كان الحجاز قد تأثر فى ذلك بلهجات مجاورة . ومن الملاحظ أن معظم اللغات القديمة التى ورثت قضاعة وكهلان مساكنها الممتدة من شمال الحجاز إلى بلاد الشام ، كالكنعانية والعبرية والسريانية الغربية والنبطية والثمودية ، كانت تفخم الألف فتنحو بها نحو الواو (١) . وإن تواتر هذه الظاهرة على منطقة واحدة ، فى خلال مئات من السنين ، لمما يجعل الاحتمال قوياً بأن يكون سكان هذه المنطقة ، على تعاقب العصور قد توارثوا شيئاً من هذه الظاهرة العريقة. بل إن تفخيم الألف لايزال ماثلا فى بعض الجهات الشمالية من فلسطين ، وفى جبال شمال سوريا إلى يومنا هذا (٢) . أضف إلى هذا كله أن بعض القضاعيين الذين لا ينتمون إلى منطقة الشمال الغربى ، وهم بنو كلب ، يقولون فى لهجتهم فى مثل دابة وشابة : دأبة وشأبة ، فيقحمون همزة مفتوحة على الألف . ومثل هذه اللهجة ، وإن كانت ليست من صميم الخاصية التى نتحدث عنها ، ذات ارتباط ودلالة . فهى من ناحية تشبه تفخيم الألف من حيث إنها وسيلة للإبقاء على الألف وتدعيمها خشية أن تختزل وتتضاءل ، أو تلين وتضعف ، وهى من ناحية أخرى تشير إلى ظاهرة عامة مشتركة تجمع بين بطون من قضاعة ، على تباعد مساكنها،

---

(١) رابين : ١٠٧

(٢) نفسه : ١٠٧

وإن اتخذ كل منهم وسيلته الخاصة للتعبير عنها .

وربما امتد تأثير الشمال إلى اليمن ، فانتقلت إليه فى الزمن القديم آثار من تفخيم الألف ، ولكنها على أى حال آثار ضئيلة ، ولعل إمالة الألف نحو الياء كانت أكثر ذيوعاً وانتشاراً فى لهجات اليمن القديمة بصفة عامة (١) . فإذا نظرنا فى لهجات قيس وغيرهم من قبائل نجد وجدنا فى أقوال الرواة ما يدل على أنهم آثروا الإمالة على الفتح ، حتى قيل فى وصف لهجتهم «كَسْكَسَةُ قيس وأسد» ، «تضجع قيس» (٢)، وكلاهما ، فيما نرجح ، يعنى الإمالة . وأغلب الظن أن الإمالة التى اشتهرت بها معظم اللهجات العربيـــة التى انتشرت فى أقطار البحر الأبيض المتوسط ، قديما وحديثاً ، ترجع إلى ترادف الهجرات اليمنية والقيسية على هذه الأقطار ، مع تعاقب العصور .

أما السودانيون فقلما يميلون الألف نحو الياء (٣) ، والغالب فى لهجاتهم تفخيم الألف إلا إذا اقترنت فى اللفظ بحرف مرقق كالراء أو الغين أو الخاء ، فحينئذ ينطقونها دون تفخيم كما ننطقها فى الفصحى .

---

(١) قارن صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ١٣٥ (عن لهجة بنى حرب) ، همع الهوامع للسيوطى (ط السعادة ١٣٢٧ هـ) ٢/٢٠٤ ، رابين ص ٢٨

(٢) المزهر ١/٢١٠ ، الخزانة ٤/٥٩٦ ، النشر لابن الجزرى ٢/٣٠

(٣) قد يميلونها فى بعض حروف الجر والأدوات فى مثل الباء واللام وعلى وحتى ، وقد تكون امالتها أو إمالة بعضها أثراً من لهجات قيس أو اليمن (انظر همع الهوامع للسيوطى (ط السعادة ١٣٢٢ هـ) ج ٢ ص ٢٠٤

وهم يفخمون الألف على درجات ، فقد يكون التفخيم خفيفاً هيناً تنهض فيه الالف مشبعة دون إجناحها نحو الواو وهو كثير فى كلامهم ، كالألف التى تكون فى صَصيَّار (جمع صقر) ، عَجَّال (جمع عجل) ، وهو من صيغ جموع التكسير عندهم ، يشبعون فيها الألف مع تفخيم هين ملطف. وقد تخرج الألف ممتلئة مع إجناح خفيف ، وذلك إذا أرادوا باللفظ تأكيد حالة أو إظهار استمرارهم عليهـا ، كقولهم ساكِتْ (أى خالصاً) ، طوَّالى (أى على طول الطريق) ، رِكِبْ عَمُودى سَاىْ (أى ركبتُ جملى الصغير وواصلت السير دون جدوى. والشاهد فى لفظ (ساى) والألف فيه مفخمة). وقد يزداد إجناح الألف نحو الواو حتى تصير (ه) فى قولهم موّيه (ماء) ، حربوّيه (حرباء) ، قاعوّيه (ضفدعة) ، ديدوّيه (دوى وضجة) ، هبّـويهْ (شعر القفا)، ساسوّيه (شظية من زجاج) .ويقولون : الكبش تورّتْ ودوّعلْ (أى سمّن للذبح) ، والولد كورّك (أى صاح) ، والجمع قوّطر (أى انصرف) . وتختلف درجة التفخيم من لهجة إلى لهجة . وقد يحدث هذا فى اللفظ الواحد ، ففى شمال السودان نسمع لفظ حربايه إلى جانب حربويه .

وقد يشتد التفخيم حتى تصير الألف واواً بضمة صريحة ، كما فى الفعل المضارع : ينام يقولون ينوم ، وعامة أهل السودان لا يعرفون غير هذه الصيغة . وقد يشتد التفخيم بصيغة جمع التكسير التى على

وزن (فعَّال) ، حتى تصير الألف واواً صريحة ، كقولهم بَنُّوت (جمع بنت) ، جُنُّوى (جمع جَنَى وهو الطفل . وقد يطلق على الصبىّ أو الفتى)

١٢ - ولظاهرة التفخيم صلة وثيقة بظاهرة إطالة الحركات فى اللهجات السودانية ، وهى فى ذلك تذكرنا ببعض اللهجات الحديثة ، مع فارق فى النوع والدرجة أحياناً . ففى لهجات أهل الشام تطال الحركة ولا سيما فى المقطع الأخير من اللفظ ، فيقول السورى مثلا : (يا أحمد تعالْ هونْ) فيطيل حركة المقطع الأخير فى كل من (مد . عال ، هون) . وعلى العكس من ذلك لهجة القاهرة حين يقول القاهرى : يأحمد تعال هنا ، فيميل إلى تقصير الحركات ما استطاع . على أن إطالة الحركة تظهر فى لهجات الصعيد ، ثم نراها تزداد وضوحاً فى لهجات السودان . فالسودانى يقول مثلا : ياناسَ البيت ، بينما يقول القاهرى : يَناسِ البيت ، والسودانى يقول إتُو ماشِين لى الجيّران ، ويقول القاهرى : إنتُ مَشْيين لجران(١) . فهذا يقصر الحركات ويتابعها ، وذلك يطيلها ويشبعها .

ومظاهر إطالة الحركة فى لهجات السودان كثيرة متعددة ، منها مد فتحة التشديد فى الفعل الماضى المضعف إذا أسند إلى ضمير المفعولية ، مثل قصّاها (قصّهُ) ، دَقّاهُ (دَقّهُ أى ضربه) . فاذا صاغوا اسم

---

(١) ينطق القاهرى الجيم كالحرف g فى الكلمة اللاتينية go .

الفاعل من الفعل المضعف وأسندوه إلى الضمير أو الاسم الظاهر ، أطالوا الكسرة فقالوا ماصّيها وماصّى الوَرَمه ، داقّيه وداقي الزول (الزول يعنى الشخص)(١). وتطال الحركة فى بعض الأسماء والأدوات، فيقولون مشاهيد(مشاهد)، جيهات (أى جهات)، باعوضه (بعوضه) ، لاكين (لكن) . وتطال حركات بعض الظروف وحروف الجر عند إضافتها . فاذا أضافوا (مع) إلى الضمير قالوا : معاهو ، معاك ، معاهن . وواضح أن هذا يختلف عن لهجة تميم فى تسكين آخر اللفظ فى مثل (مَحُمْ) يريدون معهم ، مع قلب العين حاء . وتطال حركات حرفى الجر : الباء واللام ، فى لهجات السودان ، عند الإضافة إلى الضمير أو الاسم الظاهر ، كقولهم : لِي الصَّباح(٢) (للصباح) ، بِي قوّه (بقوة) ، ليكَ (لك) ، بيهُ (به) . وفى حرف الجر (على) استعاضوا عن الحركة المركبة التى تظهر فى اللغة الفصحى فى حالة الإضافة فى نحو عليهُ ، وعليهم ، بحركة ممالة نحو الياء . فقالوا عليه ، عليهُن . واحتفظوا بهذه الإمالة ، فى أكثر الأحيان ، فى حالة الإضافة إلى الاسم الظاهر . فقالوا علِى الفرس ، علِى بيتُو (على بيته) .

---

(١) وفى الاسم المشدد المسند إلى الضمير ، ورد فى الشعر لفظ (ربانيها) (يعنى ربها) فأطال الحركة وأضاف نوناً بعدها ياء مد .

(٢) وقد يقولون (لا الصباح) بلام مفتوحة ، ومعناها إلى الصباح ، حذفوا همزة إلى واحتفظوا باللام والألف دون إمالتها .

أما حرف الجر (مِنْ) ، فهو يختلف عما سبق إذ ينتهى بحرف صامت ، وهو النون الساكنة . ومع ذلك لجأوا إلى إشباع النون وتدعيمها ، فشددوها فى حالة الإضافة ، أحياناً . وتشديد الحرف ، كإطالة الحركة ، وسيلة من وسائل تدعيم الصوت وإشباعه . فقالوا : منْ البيت ، مَنّهُن (أى من البيت ومنهم) . فإذا التقت النون بعدها بحركة ، احتفظوا بها ساكنة .

وظاهرة استخدام حرفى الجر (من ، على) على هذا النحو فى معظم اللهجات السودانية ، مخالفة تماماً لما يروى عن خثعم وزبيد (من قبائل كهلان اليمن) من حذف نون (من) إذا وليها ساكن ، فيقولون مِالدّار ومِالفرس (من الدار ومن الفرس) ، ومايروى عن بحارث ابن كعب ، وهم من كهلان اليمن أيضاً ، من حذف اللام والألف من (على) الجارة إذا وليها ساكن فيقولون علفرس (على الفرس) (١) . وقد انتقلت آثار من هذه اللهجة الكهلانية مع الذين هاجروا إلى أنحاء شبه الجزيرة وخارجها ، وهى تظهر اليوم فى لهجة حلب ، وفى لهجة عمان (٢) ، وفى مصر ، فى الوجه البحرى ، والصعيد . ولكنها تكاد تكون غير مسموعة فى لهجات السودان . والشائع فيها لهجة أخرى ، أغلب الظن أنها وفدت اليها من منطقة الشمال الغربى ، ومن

---

(١) مميزات لغات العرب لحفنى ناصف ص ٣٠ ، ٣٢

(٢) راين ٢٣

قضاعة بنوع خاص . وفى أقوال الرواة ما يؤيد أن قضاعة كانت أميل إلى تدعيم حرف الجر (من) وإشباعه . فقد روى الكسائى قول شاعر من قضاعة (١) :

منّا أن ذرّ قرن الشمس حتى * أغاث شريدهم فنن الظلام

يريد من (أى منذ) أن ذر قرن الشمس . وروى اللحيانى أن منا (بالألف بعد النون) لهجة فى قضاعة (٢) . وهذه اللهجة ، إن اختلفت عما نجده فى السودان ، تلتقى معه على مزاج واحد ، هو الميل إلى تدعيم النون وإشباعها . ويبدو لى أن هذه وتلك لهجتان من لهجات قضاعة . فإحداهما أشبعت هذا الميل بإضافة فتحة ممدودة (وهى الألف) إلى النون ، وهى التى أشار إليها اللحيانى ، والأخرى حققت هذا الميل بتشديد النون(٣) وهى التى ظلت مستعملة فى السودان .

١٣ — فإذا انتقلنا إلى الحركات القصار من فتحة وضمة وكسرة ، وجدنا الفتح فى لهجات السودان أغلب وأشيع من الكسر والإمالة ، وذلك فى حالات عديدة (٤) ، فمن ذلك فتح ما قبل هاء التأنيث فى الأسماء ، كقولهم: النعمَه، الكرامَه ، فاطمَه(فاطمة) ، تلاتَه (ثلاثة)

---

(١) اللسان (من)

(٢) اللسان نفس المادة

(٣) وفى قولهم (من البيت) ، ونحوه نجد فى بعض لهجاتهم تخفيف النون مع مدها كما فى الفصحى .

(٤) أنظر أمثلة أخرى للفتح فى الفصل الثالث

الخ ... فيفتحون ما قبل الهاء ، ويبقون على الفتحة فى مثل : رحمَتَ اللهْ (أى رحمة الله) ، ويستثنى من ذلك جماعات آثروا الإمالة فى كلامهم، كالشايقية ، يقولون النعمه ، الكرامه ، فاطنه ، تلاته الخ ... فيميلون ما قبل الهاء ، وكالبقارة والبديرية وبعض الكبابيش فى غرب السودان (١) .

وما يقال عن مصادر تفخيم الألف ينطبق إلى حد بعيد على مصادر بعض حالات الفتح فى اللهجات القديمة، والفتح فى الواقع مظهر من مظاهر التفخيم، والغالب أن الحجاز ومنطقة الشمال الغربى كانت مصدراً لهذه الظاهرة . أما إمالة الفتحة فكانت فى اليمن وقيس غالباً ، واشتهرت فى لهجة الكوفة قديماً ، وتحدث عنها الكسائى ، وقرأ بها فى مواضع معدودة من القرآن نحو : نعجه ، سفينه ، همزه ، وفى كلمات أخرى ، بإمالة ما قبل هاء التأنيث عند الوقف (٢) . واشتهرت بهذه الإمالة لهجات الشام وغيرها من مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط قديما وحديثاً على نحو ما أشرنا من قبل .

ومثل هذا يقال فى حركة ما قبل تاء التأنيث فى الفعل الماضى ، فالغالب فتحها فى لهجات السودان ، يقولون : بِخَلَتْ ، ضاعَتْ ،

---

(١) سمعت أحد المسيرية الزرق (البقارة) فى الأبيض يميل من العدد ثلاثة وخمسة إلى تسعة ، أما أربعة فينطقها بالفتح . وكذلك البديرية

(٢) ابن الجزرى ٣١ ، النشر ٢/٨٩

خَدَتْ ، اتْشابكَتْ ، طلعَتْ . ومثل هذا قليل فى لهجات مصر(١)، ولا يكاد يوجد فى لهجة الجزائر إذ يكسرون ما قبل تاء التأنيث باطراد .

كذلك يغلب فتح حرف المضارعة فى لهجات السودان . وتختلف اللهجات الحديثة اختلافاً واسعاً فى حركة حروف المضارعة (أ ، ى ، ت ، ن) . فلهجة تلتزم الكسر إلا فى الهمزة تفتحها . كلهجة القاهرة . وأخرى تجانس بين حركة الحرف وعين المضارع إلا فى همزة المضارعة فإنها تفتحها ، كما فى بعض جهات صعيد مصر ، وثالثة تكسر جميع أحرف المضارع كلهجة الجزائر ، وكلهجات الشام التى وصفها ابن الحنبلى فى القرن العاشر الهجرى (ت ٩٧١ هـ) (٢) . أما لهجات السودان فالأغلب فيها فتح أوائل المضارع إلا الياء فقد تفتح فى بعض الجهات وتكسر فى بعضها .

فالأغلب أن يقال : أشرب ، تشرب ، يشرب ، نشرب ، فيفتحون الأوائل جميعها (٣) . ولكن قد يقال يِشرب بالكسر فى بعض لهجاتهم .

وظاهرة الفتح والكسر قديمة فى تاريخ اللهجات العربية ، وذكر

---

(١) فى الشرقية يفتحون ما قبل التاء فى بعض لهجاتها ، لكن الشائع فى لهجات مصر الكسر .

(٢) بحر العوام فيما أصاب فيه العوام (١٩٣٧) ص ٧١

(٣) ويطرد القياس فى الأفعال المبنية للمعلوم سواء ما كان منها صحيحاً أو معتلا

أبو عمرو بن العلاء أن « تِعلم » بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب . وأما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقول تعلم بالفتح . والقرآن الكريم عليها . قال : (ويزعم الأخفش أن كل ما ورد علينا من الأعراب لم يقل إلا تعلم بالكسر ، قال : نقلته من نوادر أبى زيد) (١) . ويفهم من كلام سيبويه أن جميع العرب - باستثناء أهل الحجاز - كانوا يكسرون أوائل المضارع إذا كان ماضيه على فَعِل ، إلا ياء المضارعة فإنها تلزم الفتح فى جميع الحالات(٢) . وقالوا (تلتلة بهراء) ، وبهراء قضاعية ، والتلتلة كما شرحها صاحب اللسان هى (كسرهم تاء تفعلون ، يقولون تِعلمون وتِشهدون ونحوه)(٣) . وليس فى هذا الشرح ما يدل على أن بهراء قد اختصت دون عامة الذين كسروا أوائل المضارع بشىء يستحق إفرادها بهذه الظاهرة. ولكن هناك من القرائن ما يرجح أن كسر ياء المضارعة كان سمة مميزة لبهراء وبعض بطون قضاعة دون سائر قبائل الشرق ونجد (٤) .

---

(١) لسان العرب ٢٠/٢٨٣ (ط بولاق) . وراجع فى كسر التاء والنون بعض القراءات الشاذة فى المزهر ١/٢٥٥ ، رابين ١٥٨ . وانظر شواهد وأخباراً عن ذلك فى خزانة ٤/٥١٦ ، المخصص ١٤/٢١٦ .

(٢) الكتاب ٢/٢٥٦

(٣) اللسان (تلل)

(٤) تاريخ اللهجات د. ابراهيم أنيس ١٢٧ ، رابين ٦١ ، وانظر ما سبق ص ٢٥ .

وهذا يعنى أن الأثر الحجازى - فتح أوائل المضارع - هو الأثر الغالب فى لهجات السودان ، وأن هناك أثراً قضاعياً يبدو فى لهجة من يكسر ياء المضارعة . بل يبدو الأثر القضاعى (١) فى بعض لهجات السودان ، عند ما يبدلون ياء المضارعة همزة مكسورة ، وهو فى بعض جهات شمال السودان والجزيرة والبطانة ، فيقولون إِقَع ، إِبكى ، إِشيل ، يريدون يقع ويبكى ويشيل .

وتقترن (الباء) بحروف المضارعة فى لهجات السودان ، كما فى كثير من اللهجات الحديثة . فالسودانى يقول: هو بيَسأل (أو بيَسعل)، هى بتبكى ، أنا بَزْرَع ، نحنَ بنزْرع ، إنتَ بتساهَب . والباء هنا ، كما فى سائر اللهجات التى تستخدمها ، تفيد معنى ممارسة الشىء بالعادة أو الاستمرار فيه. واستخدامها مع المضارع قديم جداً فى اللغات السامية ، فقد وردت فى نقوش كنعانية من شمال سوريا (نقوش راس الشمره) ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد(٢) . فنى أسطورة كرت ورد لفظ بشأل (أى يسأل)، بتنى (يثنى ومعناه يكرر) ٣). وكثيراً ما يحذف السودانيون ياء المضارعة إذا اقترنت بالباء ، فيقولون بسأل) بنكى ، بفوّت (أى يترك) ، بدُق ، بِكسر ، بنفَع(٤) .

(١) قرن راين ص ٨٣ .

(٢) Ancient Near Eastern Texts (Princeton 1955) p. 142

(٣) أوغاريت لنسيب الخازن (١٩٦١) ص ١٠٣ ، ١٠٥

(٤) وانظر العربية فى السودان لعبد الله عبد الرحمن ص ٥٢

وأهل غرب السودان ، كالجوامعة والبديرية ، يبدلون همزة المضارعة نوناً ، فيقولون : (أنا) نَمشى ، (أنا) نَسوط العصيده . فاذا أرادوا جماعة المتكلمين أضافوا واو الجمع فى آخر الفعل فقالوا : نِحْنَ نسيرُو ، نحن نَمْشو . وهذا من تأثير لهجات شمال افريقية من غير شك . وهو من سماتها التى تميزها عن لهجات المشارقة(١). على أن من الملاحظ أن لهجات المغرب تكسر النون فى مثل هذا الموضع ، فتقول : أنا نِمْشى ، ونحن نِمْشو . أما أهل غرب السودان فقد آثروا فتح النون قياساً على الشائع فى لهجاتهم .

ولا يقتصر الفتح على المضارع فى لهجات السودان ، بل فى صيغة الأمر كذلك يفتحون الهمزة المبدوء بها فى مثل أقعدْ ، أسمَعْ ، أمِشْ (وهى صيغ الأمر من قعد وسمع ومشى)، وقد يضيفون همزة مفتوحة فى مثل أقيف (أى قِفْ) . وهذه أيضاً لهجة قديمة كانت معروفة فى الكوفة فى القرن الثالث الهجرى ، إذ يروى ياقوت فى معجم الأدباء أن أحمد بن يحي ثعلب ، إمام الكوفة (٢٠٠ — ٢٩١ هـ) كان إذا دخل المجلس فقام تلاميذه ، قال لهم : أقعدوا أقعدوا بفتح الهمزة ، كما فى اللهجة الدارجة إذ ذاك (٢) .

---

(١) الجمانة فى إزالة الرطانة (١٥٣) تعليق الناشر حسن حسنى عبد الوهاب ص ٣٠ ، ٣١ ، ٤٠ .

(٢) معجم الأدباء [مطبوعات دار المأمون] ٥/١١٧ ، العربية ليوهان فك ص ١٤١ .

١٤ - ومظهر آخر من تفخيم الصوت ، يغلب على لهجات السودانيين ، وهو تحريك وسط الاسم الثلاثى (الذى يسكن فى لهجات أخرى) بالفتح أو الضم أو الكسر ، كقولهم : السَّبِت ، الضَّرِب ، الكلِب، المشِى ، الجرِى، الجدِى (بفتح فكسر فسكون) — الجلِد ، العِرِق ، المِلِح (بكسر الأول والثانى) - صَغُر ، بَطُن ، بَكُر ، رَطُل، شَطُر (بفتح فضم فسكون) - فحَم ، لحَد ، دَحَش ، بحَر ، أهَل، رَعَد (بفتحتين لمكان حرف الحلق) الخ... أما تسكين الوسط فهو قليل فى السودان وقد تسمعه عند المسيرية الزرق (من البقارة) ، وفى دار حامد (من الكبابيش) ، ولكن فى غير اطراد . والغالب فى السودان تحريك وسط الثلاثى ، وهو بمثابة تفخيم للوسط الساكن بإعطائه حركة تعين على إظهاره والإجهار به ، ويبدو أنه - كذلك - وسيلة للتخلص من التقاء الساكنين (١) .

ويشيع تفخيم وسط الثلاثى فى لهجات الشام ، بينما يغلب التسكين فى لهجة القاهرة ، وقد نجد التفخيم فى بعض لهجات أطراف مصر . وتوجد الصيغتان فى لهجات تونس منذ عصور سابقة (٢) . وقد علق الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، أحد علماء تونس ، على ما ورد فى كتاب الجمانة عن هذه اللهجة فقال : (أما أهل الحضر (يعنى فى تونس)

---

(١) انظر الفصل الثالث — فقرة ٢

(٢) الجمانة فى إزالة الرطانة ص ١٥ — ١٦ .

فيقولون على نسق واحد : شَعَر وصخر ولحم وبحر ، بفتح الأوليتين. وأما الأعراب من أهل باديتنا ، وهم بقايا بنى هلال وبنى سليم ، فيقولون شعر ، بحر ، لحم وهلم جراً ، بفتح الأولى وإسكان الثانية. وهذا ما يؤيد وجود أصلين مختلفين فى عربية البلاد) (١) .

وقديماً جمعت اللغة الفصحى بين الصيغتين فى طائفة من الألفاظ ، مثل عنق ، عنق — ضلع ، ضلع — ملك ، ملك — فخذ ، فخذ ... وذكر الباحث «كايم رابين» أن الصيغة الساكنة الوسط تنتمى غالباً إلى لهجات شرقية (يعنى لهجات نجد والأطراف الشرقية)، أما المتحركة فحجازية . واستشهد بأقوال بما ورد فى كتاب سيبويه ، وما ذكره أبو عبيدة معمر من أن (أهل الحجاز يفخمون الكلام كله إلا فى عشرة يجزمونها) (٢). وهذا صحيح فى جملته غير أننا نلاحظ أن الحجاز لم ينفرد بهذه الظاهرة على الجانب الغربى ، فالواقع أن تحريك وسط الثلاثى ظاهرة عريقة فى منطقة الشمال الغربى ، عرفت قديماً فى اللغة العبرية . ثم إنه من الطبيعى أن تشيع هذه الظاهرة عند أهل هذه

---

(١) الجبالة ص ١٦ [هامش]

(٢) رابين ٩٧ — ٩٨ . وقول أبى عبيدة يجزمونها — خلافاً لما فهمه رابين — يعنى يسكنونها . ويوضح ذلك قول صاحب اللسان فى لفظ عشرة [والكسر لأهل نجد والتسكين لأهل الحجاز] . وانظر أيضاً المزهر ٢/ ٢٧٥ [أهل الحجاز يقولون خمس عشرة خفيفة لا يحركون الشين ، وتميم تثقل وتكسر الشين ، ومنهم من يفتحها] .

المنطقة الذين عبروا فى صور شتى عن ميلهم إلى تفخيم الأصوات والجهر بها .

وبالجملة نرى أن تفخيم الأسماء على هذا النحو فى معظم اللهجات السودانية ، يرجع فى أكثر حالاته إلى مصادر حجازية وشمالية غربية ، أما تسكين الوسط فى بعض لهجات السودان فهو فى الغالب أثر من آثار بنى هلال وبنى سليم على نحو ما أشرنا إليه فى لهجات تونس .

٥ : — وقد يعرض للحروف والحركات أحوال غير ما ذكرنا ، منها النبر والتنغيم ، والحذف والترخيم .

واللغات تفرق بين المقاطع فى الكلمات بمقدار القوة التى تنطق بها ، فبعض المقاطع ناشط قوى كأنه يصاح به ، وبعضها فاتر ضعيف كأنه يهمس به ، ولكل كلمة مقطع يكون أكثر وضوحاً من غيره ، وهو الذى وقع عليه النبر ، أو الضغط ، فيقال فيه مقطع منبور ، أو مضغوط(١). ومن الملاحظ أن اللهجات الحديثة تختلف فيما بينها فى موضع النبر من الكلمة . واتخذ الباحثون هذا دليلا على أن اللهجات القديمة كانت كذلك تختلف من هذه الناحية . يقول برجشتراسر (فمن المعلوم أن المصريين(٢)

---

(١) برجشتراسر : التطور النحوى ص ٤٦ ، الأصوات اللغوية د. ابراهيم أنيس ٩٧ – ٩٨ .

(٢) لعله يقصد بعض المصريين ، كأهل القاهرة . أما أهل الصعيد فيضغطون المقطع الأول من مطبعة ومدرسة ومكتبة ونحوها كما يصنع أهل السودان .

يضغطون فى مثـــل (مطبعه) المقطع الثانى (يعنى « بَ ») ، وغيرهم يضغطون الأول (يعنى : مَطْ) . فلو أن الضغط كان قوياً فى الزمان العتيق لكانت اللهجات على أغلب الاحتمال حافظت على موضعه من الكلمة ، ولم تنقله من مقطع إلى مقطع آخر) (١) . على أن اختلاف مواضع النبر فى اللهجات القـــديمة ليس بالأمر الغريب ، بل هو طبيعى (٢) . ولعل دراسة فى المستقبل لمواضع النبر فى اللهجات الحديثة على أسس دقيقة ، تكشف لنا نماذج مختلفة واضحة السمات يمكن ردها إلى نظائرها فى اللهجات القديمة ذاتها .

والذى نلاحظه أن النبر فى لهجات السودانيين يتفق بصفة عامة ولهجات صعيد مصر ، فنى مثل مطبعه ، مدرسه ، وَلد ، عَشَا ، ينبرون المقطع الأول . وفى قولهم ، ضرَبْتها ، كلَّمْتها ، ينبرون المقطع الثانى (رَبْ ، لَم) . وإذا كان المقطع الأخير طويلا مقفلا ، فالنبر واقع عليه دائماً ، مثل: شبّاكْ ، نجّارْ ، حكيم ، ضيفان ، فالنبر فيها يقع على (باك - جار - كيم - فان) . وينحسر النبر عن المقاطع النهائية التى تتألف من ضمير الغائب والغائبة والمخاطب والمخاطبة ، مسنداً إلى اسم أو فعل أو أداة ، ومفرداً كان أو جمعاً ، بصفة مطردة .

على أن الشىء الذى يلفت النظر فى اللهجات السودانية ، هو النغمة

---

(١) التطور النحوى ص ٤٧ ، وانظر رابين ١٥٤

(٢) . اللهجات لابراهيم أنيس ١١٥ [الطبعة الأولى].

الداخلة على المقطع الأخير الذى ينتهى بضمير المتكلم المفرد فى مثل ؛ راسى ، عينى ، حالتِى ، أو الذى ينتهى بألف فى مثل عصا ، فتى ، تمرا ، سمرا . فهم يضفون على المقطع الأخير فى كل منها نغمة خاصة ، كالزجرة الخاطفة .

وفى المقطع الذى ينتهى بألف فى مثل عصا ، فتى ، سمرا ، تنهض الفتحة فى تلك النغمة كأنهـــا تعطو إلى همزة ، وكأن الأصل فيها : عصأْ ، فتأْ ، سمرأْ . وهى تذكرنا بتلك اللهجة التى رواها سيبويه ، ولم ينسبها ، قال (وزعم الخليل أن بعضهم (أى بعض العرب) يقول : رأيت رجلأْ فيهمز ، وهذه حُبلأْ)(١) . ونسبها بعض المتأخرين إلى طىء(٢) . ولكن هذا لا يتفق وكلام سيبويه عن لهجة طىء فى مثل هذا الموضع(٣) وبعضهم نسبها إلى تميم(٤) . وذكر سيبويه أن فزارة وبعض قيس قالوا فى مثل أفعى وحبلى ، أفعَىْ ، حبلَىْ ، فوقفوا عليه بياء ساكنة(٥) . ومن الجائز أنهم آثروا تليين الهمزة بقلبها ياء وكأن الأصل فيهما أفعأ ، حبلأ .

---

(١) الكتاب ٢/٢٨٥

(٢) رابين ٢٠٨ نقلا عن التصريح للأزهرى ، اللهجات لإبراهيم أنيس ص ١٠٨ [الطبعة الأولى]

(٣) الكتاب ٢/٢٨٧

(٤) مميزات لغى ناصف ص ٢٧

(٥) الكتاب ٢/٢٨٧

أما المقـــاطع التى تنتهى بضمير المتكلم المفرد ، فتخالطها هذه النغمة الخاطفة الحادة ، حتى تحيل الكسرة قريباً من الياء الساكنة ، وقد تقلب ياء ساكنة مع حرفى الجر ، الباء واللام ، كقولهم بَىْ ، لَىْ (أى بى ، لى)(١). ومن الملاحظ أن ضمير المتكلم المفرد ، من دون سائر الضمائر ، هو الذى حظى بتلك النغمة التى أشرنا إليهـــا . فإذا أسندوا إلى الكلمة ضمائر الغيبة والخطاب أو جماعة المتكلمين ، جردوا مقاطعها الأخيرة من هـذه النغمة. والسؤال الآن : لماذا ياء المتكلم المفرد؟ وما أساس هذه الظاهرة؟ وما مصدرها؟ أليس من المحتمل أن تكون أثراً من تلك العجعجة التى حدثنا عنها القدماء ، أو من لهجة قريبة منها؟.

ينبغى أولا أن نفرق بين ظاهرتين سميتا بهـــذا الاصطلاح «العجعجة» ، وشاع الخلط بينهما فى الروايات القديمة. إحداهما تميمية ، وهى قلب الياء المشددة جيما . وهى التى أشار إليها سيبويه . ولم يذكر غيرها . ونسبها إلى بنى سعد . (وهم سعد بن زيد مناة من تميم) . قال : (وأما ناس من بنى سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء فى الوقف لأنها خفية. فأبدلوا من موضعها أبين الحروف. وذلك قولهم: هذا تميمجْ ، يريدون تميمىْ ، وهـذا عَلِجْ ، يريدون على ، وسمعت بعضهم يقول:

---

(١) بَىْ بفتح الباء حرف الجر مسنداً الى ياء المتكلم . وفتح باء الجر لهجة قضاعية كما ذكر ذلك السيوطى [المزهر ٢٠٧/١] إلا أنه مثل له بضم الغائب [به]

عربانج ، وحدثنى من سمعهم يقولون :

خالى عُويف وأبو عَلجّ ⁂ المطعمان الشحم بالعشجّ

وبالغـــداة فلق البرنجّ

يريد بالعشىّ والبرنىّ ، فزعم أنهم أنشدوه هكذا(١) . وإليها أيضاً أشار أبو عمرو بن العلاء فى قوله : قلت لرجل من بنى حنظلة ممن أنت فقال فقيمجّ ، أى فُقيمىّ . فقلت من أيهم ؟ فقال مرّجّ ، أى مرى (٢) . وحنظلة وفقيم ومرّ كلهم من تميم . ومثل هذه العجعجة لا أثر لها فى لهجات السودان .

وهناك عجعجة قضاعة (٣) ، وهى التى تعنينا هنا . وشاهدها ، فيما نرجح ، هو قول شاعر ينسب إلى بعض أهل اليمن (٤) :

يارب إن كنت قبلت حجتج ⁂ فلا يزال شاحج يأتيك بجْ

أقمرُ نهاتٌ ينزّى وفرتجْ

يريد حجتى ، بى ، وفرتى (أى الشعر المجتمع على رأسى) . وساق اللغويون لها المثال : هذا راعجّ خرج معجّ (٥) ، يريدون راعىّ

(١) الكتاب ٢/٢٨٨

(٢) ابن يعيش ١٠/٥٠ ، الصاحبى : ٢٥ ، أمالى القالى ٢/٧٧

(٣) اللسان [عجج] ، ابن يعيش ٩/٧٤ [هامش] ، مزهر ١/٢٢٢ ولكن الخلط ظاهر فى هذه المراجع بين عجعجة قضاعة وعجعجة تميم .

(٤) خزانة ٤/٥٧ [شرح العينى] ، ويسمى اليمن أحيانا كل من الملبس لد القضائية سواء من عرب الشمال أو الجنوب

(٥) اللسان (عجج)

(مسنداً إلى ياء المتكلم) خرج معى . فالياء التى قلبت جيما فى هذه الشواهد هى ضمير المتكلم المفرد . والظاهر أن القضاعيين كانوا يعجعجون بياء المد ، أى يصيحون بها ، فالعجعجة ـ على هذا المفهوم ـ تتعلق بالتنغيم كما اقترح ذلك أحد الباحثين المعاصرين (١) . وهذا يتفق وما لاحظناه من ميل قضاعة إلى الجهر بالصوت . ولعلهم أدركوا أن ياء المد ، وهى كسرة ممدودة ، قــد تتضاءل أو تختفى إذا وقفوا عليها ، فلهذا مالوا بالتركيز عليها ، ولعلهم حولوا ياء المد ، فى بادىء الأمر إلى ياء ساكنة ، فكأنهم كانوا ينطقونها : معىْ ، حجتىْ ، بىْ ، وفرتىْ (٢). ثم تلا هذا قلب الياء جيما ، إذ من العسير أن نتصور إمكان حدوث هذا القلب إلا إذا افترضنا وجود هذه المرحلة الوسطى التى تقلب فيها الكسرة ، بتأثير النغمة الداخلة عليها ، ياء ساكنة ، وهو افتراض طبيعى كما رأينا . وهذا يدعونا إلى القول بأن التركيز بالنغمة على ضمير المتكلم المفرد فى اللهجات السودانية ، هو أثر من هـذه العجعجة ، أو من لهجة قريبـة منها كانت تكتفى بأساس الظاهرة ولا تمضى معها إلى آخر الشوط . وعلى كلتا الحالتين ، فإن لهجات السودان لم تبالغ كما بالغ أصحاب العجعجة الذين قلبوا الياء جيما ، وإنما وقفت فى المرحلة الوسطى أو قريبـاً منها ، واحتفظت

---

(١) رابين ١٩٩

(٢) اللهجات لابراهيم أنيس (الطبعة الأولى) ص ٧٨ ـ ٧٩

بالياء، واستمسكت بهذه النغمة الخاطفة دليلا على الأثر القديم .

١٦ ـ أما الحذف والترخيم ، فله فى السودان صور متعددة . وحسبنا أن نشير هنا إلى اثنتين منها(١). إحداهما توجد عند بعض قبائل غرب السودان ، يحذفون نهاية الكلمة المسبوقة بالمد ، وهى النون غالباً عند الوقف . ففى لهجة دار حامد فى كردفان يحذفون النون فى نهاية الكلمة عند الوقف حذفاً خفيفاً يتركون معه أثراً من الغُنَّة(٢) . فيقولون : يالتعرفو الدركا (ن) ، يا قمريت اللبخ والبا (ن) (٣) . وفى رواياتهم الوطنية أن جدهم (حامدا) استشار أبا زيد الهلالى فى المكان الذى يتخذه مقاماً له ولجماعته فأشار عليه أبو زيد بمنطقة الخيران فى كردفان لأنها كما تقول الرواية (مركز سلاطى بحَّر بواطى) أى مركز سلاطين ويجتمع ماء كثير تملأ منه البواطى لتشرب منها الإبل .

ومثل هذا الترخيم وجد قديماً فى لهجات أهل المغرب والأندلس ، كقولهم : النسرى (أى النسرين الريحانة المعروفة) ، الجنى (أى الجنين) (٤) . أما فى شواهد الفصحى فقد ورد مثل هذا فى شعر

---

(١) وانظر صورة أخرى من الحذف فى الفصل التالى

(٢) سمعت أحدهم [يدعى عبد الله جابر] فى أثناء زيارتى للأبيض فى ديسمبر ١٩٦٠

(٣) هذه عبارات مقتطفة من الشعر الشعبى عندهم ، قولهم : يالتعرفوالدركان أى يا أيها الذين يعرفون الدركان وهو المجهد المنهوك . ويا قريت اللبخ والبان يعنى لنداء هذا الطائر الذى يتردد على شجر اللبخ والبان ه

(٤) الجمانة ص ٣٢ ، ٣٤

شاعرة من بنى عامر أو بنى عقيل (١) ، وفى شعر أبى النجم العجلى وهو من بنى بكر بن وائل من ربيعة (٢) . فالظاهر أن هذا النوع من الحذف كان معروفاً فى لهجات الهلالية وبنى حنيفة وربما من طريقهم عرفه أهل السودان .

وهناك صورة من الحذف لا تتقيد غالباً بحرف معين كقولهم : (أسكت ساى) وقد يقولونها بدون ترخيم (أسكت ساكت)، وقولهم للشىء أو الشخص : راح ساى (أى ذهب بلا ثمن أو مقابل أو فائدة وهى لهجة تُسمع فى شرق السودان وأواسطه). ومن هذا الحذف ما أشار اليه الأستاذ عبد الله عبد الرحمن بقوله : (والرباطاب (فى مديرية بربر) يرخمون الكلام فيقولون : أعطيته الكتا وسمعت الكلا ، يريدون الكتاب والكلام ، وهى لغة طىء من العرب) (٣) . والكاتب يشير هنا إلى ما اشتهرت به طىء عند الرواة مما يسمى بقطعة طىء . ولكن الظاهرة معروفة أيضاً فى غير طىء ، ومن المستبعد ، كما أشرنا من قبل (٤) ، أن يكون لطىء أثر مباشر فى هذه اللهجة أو غيرها فى السودان .

ومثل هذا الحذف موجود إلى اليوم فى لهجات الغربية والبحيرة

---

(١) خزانة ٣/٤ ٣ فى قولها تمدح أخوالها فى طىء [وحاتم الطائى وهاب المى] أى المئين جمع مئة ، وقولها يا كل أزمان الهزال والسنى [أى السنين] .

(٢) خزانة ٤٠١/١ فى قوله فى لجة أمسك فلاناً عن فل [أى عن فلان] .

(٣) العربية فى السودان ص ٢٧

(٤) انظر الفصل الأول ص ٢٧

وبعض نواحى الفيوم وبنى سويف يقولون : النهار طلا (أى طلع) ، والنور ظها (أى ظهر) ، ويقولون : ياوا ياحْم هات القُله وحُطها جنْ (أى ياولد يا أحمد هات القلة وحطها جنبى)(١). وذكر أحد علماء القبطية فى مصر أن اللهجة القبطية التى سادت قديماً فى منطقة بنى سويف ونواحى الفيوم قد تميزت بالترخيم مع تطويل الحركة الأخيرة(٢). ووصف أبو محمد الهمدانى (ت ٣٣٤ هـ) بعض أهل اليمن بأنهم (يجرّون فى كلامهم ويحذفون)(٣). وروى القدماء شواهد من الفصحى فى هذه القُطعة، لشعراء بعضهم من تميم كالعجاج بن رؤبة، وبعضهم من تغلب كالأخطل(٤). فالشاهد أن هذا الحذف يرجع إلى مصادر متعددة وليس إلى طىء وحدها.

(١) مميزات لغات العرب لحفنى ناصف ص ٢٩ ، جورج صبحى فى مقال بمجلة المجمع المصرى للثقافة (١٩٣٥) ص ١٠٩

(٢) مقال جورج صبحى المشار إليه ونفس الصفحة.

(٣) صفة جزيرة العرب ص ١٣٤ ، لكن الأمثلة التى ساقها ليست موضحة لقوله هذا، ولعلها حرفت على أيدى النساخ.

(٤) انظر اللسان : نزل ، حم.

الفصل الثالث

نماذج من اللهجات القديمة وآثارها فى السودان فى الصيغ والتراكيب والمفردات

١ - من السمات المشتركة بين اللهجات الحديثة ، إثبات ضمير الجماعة (١) فى الفعل مع وجود فاعله ، متى كان أو جمعاً ، متقدماً على الفعل أو متأخراً عنه . فالسودانى يقول : كتَلوه الرُّجال، والرجال كتلوَ ، (أى قتلوه) . وفى المثال الأول مخالفة للقاعدة النحوية المعروفة فى الفصحى ، فالصحيح أن يقال : قتله الرجال . ورواة الفصحى يسمون تلك اللهجة لغة أكلونى البراغيث ، وهو اصطلاح ينطوى على شىء من السخرية والاستهجان . ولكن هذه اللهجة فى الواقع كانت فاشية كثيرة فى كلام العرب الأوائل وأشعارهم حتى ذهب قوم من النحاة إلى أنه لا يلزم تجريد الفعل من علامة التثنية والجمع إذا أسند لواحد منهما (٢) . والظاهر أن لهجات الجانب الغربى من الجزيرة العربية كانت تستخدم هذه اللهجة من قديم (٣). وكذلك بعض لهجات الشمال والشرق ، فقد نسبت إلى طىء ، وروى لها شاهد من شعر

---

(١) وهو يدل على المثنى والجمع فى اللهجات الحديثة

(٢) ابن يعيش ٨٨/٣ (هامش)

(٣) رابين ٧٧ ، ١٦٨

الفرزدق وهو تميمى (١) . بل إن اللغات السامية القديمة قد اصطنعت هذه اللهجة . فمن المتوقع إذن أن نجد اللهجات الحديثة تنحو هذا النحو، على أنها توسعت فى استخدام الظاهرة حتى أصبحت على مر الزمن سمة مشتركة بينها جميعاً .

وسمة أخرى مشتركة بين اللهجات الحديثة عامة ، وهى استغناؤها عن الإعراب ، وتسكينها أواخر الكلم ، كما لو كانت فى الوقف ، دون التفات إلى التصرف الإعرابى الذى نعرفه فى الفصحى. وليس الاستغناء عن الإعراب من مبتدعات اللهجات الحديثة كما قد يظن البعض ، وإنما يرجع إلى جذور بعيدة فى التاريخ . واللغات السامية التى وصلت الينا ، باستثناء البابلية ـ الآشورية ، والفصحى(٢)، لغات غير معربة . والراجح لدينا أن اللهجات العربية منذ زمان قديم استغنت عن الإعراب كذلك ، وآثرت تسكين أواخر الكلم ، اللهم إلا بقايا كانت تتفاوت فيما بينها كثرة وقلة . وربما كانت لهجات البوادى فى الجزيرة العربية ، وعت قدراً من هذه البقايا أكثر مما وعته تلك التى عاشت فى الحواضر أو اتصلت بها . ولا شك أن رواة اللغة قد أغفلوا تسجيل

---

(١) رابين ١٦٨ ، ٢٠٩

(٢) راجع مقالا لادوارد دورم ترجمة د. الدواخلى (مجلة المجمع للغة العربية ١٢ (١٩٦٠) ص ١٨٥ وما يليها

هذه الظاهرة ، إلا فى القليل النادر (١) ، لأنها لا تتفق أساساً وأهم خصائص اللغة الفصحى المعربة التى من أجلها جمعوا شواهدهم .

واللهجات السودانية، كسائر اللهجات الحديثة، تخلصت من إعراب الحروف والحركات ، فالكلمة تنتهى بالسكون ، وكل من المثنى والجمع يبنى على الياء دائماً . ولا تكترث لحذف نون المثنى أو الجمع فى حالة الإضافة ، يحذفونها أحياناً ويثبتونها أحياناً، فيقولون كرعىْ وأضنىْ (أى رجلاى وأذناى أو رجلىَّ وأذنىَّ) ، ويقولون كرعينى واضنينى وسامعينَك ، فيثبتون النون مع الإضافة ، وهى لهجة قديمة فى عدن تحدث عنها المقدسى فى القرن الرابع الهجرى (٢) . واستغنوا بصيغة الواو فى مثل أخوك وأبوك ، وصيغة الألف فى حماك ، عن سائر الصيغ الإعرابية لها .

وكان من أثر هذا الاتجاه أن ظهر الفرق واضحاً بين الفصحى واللهجات، فى تركيب العبارة وفى طريقة التعرف على وظيفة الكلمة فيه. فالفصحى تهتدى بالإعراب كما إذا وقع اللبس فى التمييز بين الفاعل والمفعول، أما اللهجات فاختارت لنفسها من الوسائل ما يضمن لها معرفة مواضع

---

(١) كالوقوف على المنون بغير ألف فى لغة ربيعة وطىء (ابن يعيش ٩/٦٩ ـ ٧٠ ، خزانة ٤/٥٤٣ ـ ٥٤٤ (شرح العينى) . وتسكين آخر المرفوع والمنصوب فى السياق (ابن الحنبلى ص ٣٢)

(٢) أحسن التقاسيم (ليدن ١٩٠٦) ص ٩٦ (وأهل عدن يقولون لرجليه رجلينه ، وليديه يدينه وقس عليه)

الكلمات فى التركيب وعلاقة بعضها ببعض . فآثرت تقديم الفاعل على الفعل الماضى والمضارع ، ووضعت الفعل وسطاً يفصل بين الفاعل والمفعول، وهو اتجاه خالفت فيه الفصحى، إذ الأصل المتبع فى التركيب الفصيح تقديم الفعل على الفاعل. فإذا قال السودانى فى أمثاله: تمرْ عفيبين كتلو(١) السد (أى ضبعان قتلا الأسد) ، أو قال : أَخْدَ التّار يَنْفى العار ، أدرك السامع على الفور ، بفضل هذا الترتيب الوضعى الذى اصطلحت عليه اللهجة ، مكان الفاعل ، ومكان المفعول به . ولو أننا نقلنا هاتين العبارتين إلى الفصحى فقدمنا الفعل على الفاعل ، كان لزاماً علينا أن نتبين أولا وجه الإعراب ، حتى نستطيع أن نميز بين الفاعل والمفعول فى كل منهما. وكذلك توسعت اللهجات فى التركيب الإضافى ، ولا سيما عند وقوع لبس فى موصوف أو نحوه . فإذا قال السودانى : بيت الزولَ الكبير، فقد يقع اللبس فى الموصوف بالكبير ، أهو البيت أم الزول أى الشخص ، ولو قيلت بالفصحى لكان موضع « الكبير » من الإعراب حاسماً للموقف مزيلا للبس. ففى مثل هذه الحالة لجأت اللهجة إلى وضع آخر للكلمات لكى يتضح المقصود ، فإذا أرادت أن تجعل الموصوف البيت قالت : البيت الكبيرَ الّلى لَ الزول ، أو ال هولَ الزول أو حقّ الزول . وإذا جعلت الموصوف الشخص قالت : البيت

(١) استخدام ضمير الجمع للمثنى معروف عند العرب قديماً. يقول ابن الحنبلى (بحر العوام) ص ٤٠ (ومن عادة العرب اجراء الاثنين مجرى الجمع . وفى القرآن : هذان خصمان اختصموا فى ربهم) .

اللى لَ الزوّل الكبير ، أو ال هولَ الزوّل الكبير (١). الخ ...

٢ - على أن تسكين أواخر الكلم قد وضع طبيعة اللهجات السودانية فى بعض الأحيان إزاء مشكلة كان لابد أن تلتمس منها مخرجاً . فقد خلق لها فى كثير من الكلمات المقطع المزدوج ، واللهجات السودانية ، بصفة عامة ، لا تطيق المقاطع المزدوجة ، ولا تستسيغها ، خذ لذلك مثلا الألفاظ الثلاثية التى وسطها ساكن وآخرها ساكن ، فكل منها يتكون من مقطع مزدوج ، أى من صوت ساكن + حركة قصيرة + صوتين ساكنين. ف (عِنْدْ) عبارة عن ع + كسره + نونا ساكنة و دالا ساكنة ، (أمّ) تتكون من همزة + ضمة + ميمين ساكنتين ، (قُلْتْ) تتألف من ق + ضمة + لاما ساكنة وتاء ساكنة . ومثالها الألفاظ التى يزيد كل منها على ثلاثة أحرف وينتهى بمقطع مزدوج ، مثل لبسْتْ ، اتكاتَمْتْ ، استسمَحْتْ ، وما شاكلها . ولهجات السودان ، فى الأغلب الأعم ، تفر من المقاطع المزدوجة فراراً وتسعى إلى الخلاص منها بوسائل متنوعة بتنوع حالات الوصل والوقف . فلجأت إلى فتح الساكن الأخير على نحو ما سنذكره فى الفقرة التالية . ولجأت إلى تحريك الوسط الساكن فى الأسماء الثلاثية ، كما فى حالة الوقف ، مثل سبت ، عجل الخ .، . فتخلصت بذلك من المقطع المزدوج ، أو من التقاء الساكنين فى كل ، وحولته إلى مقطعين (س + بت ، ع + جل) أولهما قصير مفتوح ، والثانى قصير مقفل . وقد تحدثنا فى الفصل

---

(١) وقد يستخدم أيضاً لفظ تبع ، بتاع فى هذه التركيبات.

السابق عن تحريك وسط الثلاثى ، وقلنا إنه نوع من التفخيم ، يعين على الإجهار بالصوت الساكن ، ووسيلة للتخلص من التقاء الساكنين ، ورجحنا أن يكون مصدره التاريخى لهجات البقاع التى شملت الحجاز ومنطقة الشمال الغربى .

وكثيراً ما لجأت إلى حذف الساكن الأخير تخلصا من المقطع المزدوج. ومن ذلك حذف تاء المخاطب وتاء المتكلم المفرد اللتين تلحقان بالفعل الماضى ، كقول أهل البطانة : لِبِسْ توبى ، رِكِبْ مَعودى (أى لبستُ وركبتُ)، وقول المسيرية الزرق : أنى قُلْ ، إنتَ الكلّمْ (أى أنا قلتُ وأنتَ تكلمتَ)(١). ومن الشائع حذف الدال الساكنة من (عند) فى مثل قولهم : عِنْ سوادَ الليل (عند سواد الليل) ، عِنْ تَشْوَ الحديس (عند ما يتوقف الحديث بعد اشتداده واحتدامه)(٢).

فى الجزيرة والبطانة وأواسط السودان ، كثيراً ما يعرض للمقطع المزدوج الإدغام والحذف معاً ، فيدغمون الساكن الأول فيما بعده ، ثم يحذفون أحد المثلين ، كأن يقولوا : يُتْ لَيْ كَنْدِ (أى قلت لى

(١) قولهم الكلم ، باللام بدل التاء ، لهجة خاصة بهم ، وأصله اكلم بادغام التاء فى الحرف الذى يليها (الكاف) ، ثم أبدلوا الكاف الأولى لاماً على سبيل التخالف. وهم يصنعون هذا فى كل الأفعال التى على هذه الصيغة . وفى قولهم (قل) بحذف التاء ، لهجة أخرى فى دار حامد من الكبابيش الذين يحركون الوسط ويظهرون التاء فيقولون (قلت) بكسر اللام .

(٢) أهل الشام يقولون (إجا لنا) أى جاء عندنا فحذفوا الدال فى هذا الموضع .

كذلك) ، فأدغموا اللام فى التاء ، فصارتا تاءين ، ثم حذفوا إحداهما ، ويقولوا : فدْ يوم ، فدْ حبيب (أى يوم فرد ، وحبيب فرد) ، ودْ رَاوَه (اسم بلد ، والأصل ولد بسكون اللام) (١)، بِتْ مِسيمِسْ (علم على امرأة اشتهرت بالشعر الشعبى ، بنت مسيمس) . إتْ دايِر شنو(أنت ماذا تريد ؟)، كُنتْ بكلّو (كنت أكلمه)، قَعتْ ساكت (قعدتُ ساكتاً) .

وفى الثلاثى المضعف ، نحو أمّ ، كلّ ، زىّ (أى مثل) ، أبّ (وأصله عندهم بالتشديد فى صيغتــــه المطلقة) ، حذفوا أحد المثلين الساكنين ، فقالوا : زىْ نبتَ الربى (مثل نبت الرُّبى) ، كُلْ يوم ، أمْ خدْ (كنية الظبية) ، أبْ زيد ، أبْ جريد ، أب على (كنى لأشخاص) . وكأنهم أجروا (حتّى) هذا المجرى، فحذفوا المقطع الأخير منها فى الوصل بما أوله حركة ، فقالوا (فى الجزيرة والبطانه) : حتْ هُـو جه (حتى هو جاء). وفى أسماء معدودات ، نسمع لهجتين ، إحداهما تحرك الوسط الساكن منها ، كما فى عبد وشمس يقولون عبِد ، شمِس أو شمِش ، والأخرى مرخمة : العبْ والشمْ (٢). ومن أمثالهم :

(١) ولد بسكون اللام فى لغة الجعز الاثيوبية القديمة وفى بعض اللهجات الحديثة كالجزائر .

(٢) يبدو أن الصيغتين المرخمتين جاءتا من لهجة تسكن وسط الثلاثى، كلهجة غرب نجد أو اليمامة . ولدينا فى صعيد مصر كلمة (بح) يريدون (بحر) ، نسمعها فى بنى رافع ومنفلوط. وقد وردت (عب) مرخمة فى لفظ عربى قديم ، هو «عبشمس» اسم قبيلتين إحداهما من بنى سعد من تميم(انظر أقوال الرواة فيها فى اللسان(شمس)).

لاصَّاحْبَ العَبْ ولا تبول فى الشوْ (لا تصاحب العبد ولا تبل فى الشق). ومن أغانى البقارة : وجْشَكْ ضارب زىّ القِمر والشم (أى وجهك ساطع مثل القمر والشمس) ، ومن شعر البطانة : الشم خوّخت بَردَنْ ليالى الحِرّه (خوخت انكسرت حدة حرارتها ، وبردت ليالى الحر) .

وصفوة القول أن لهجات السودان تحرص على التخلص من التقاء الساكنين سواء عند الوقف أو الوصل . وقد أشار النحاة قديماً إلى أن بعض العرب (دون تعيين أو تحديد) يكره اجتماع الساكنين فى الوقف كما يكره ذلك فى الوصل (١) . وقد نجد بعض أمثلة الحذف التى أشرنا إليها معروفة فى بعض اللغات السامية التى عاشت فى منطقة الشمال الغربى فى عصور قديمة (٢) . وورد فى شعر عمر بن أبى ربيعة القرشى اسم هند (هد) بادغام النون فى الدال ، وحذف أحد المثلين عند الوقف (٣) . وأمثلة هذا النوع من الحذف ، فيما رواه القدماء ، قليلة نادرة ، ولا شك أن رواة الفصحى كانوا يعدون مثل هذا الحذف نقصا فى

---

(١) ابن يعيش ٧١/٩

(٢) فى العبرية مثلا تخفيف المضعف بحذف أحد المثلين على نحو ما وجدناه فى اللهجات السودانية . ففى العبرية يقال كل يوم [كل يوم] بتسكين اللام ، ويقال أبرام [أى الأب العالى] وأبشالوم [بسكون الباء اسم علم] . وفيها حذف الوسط الساكن أو ادغامه إذا كان نونا [ولاماً فى بعض الأحيان] .

(٣) راجع ١٤٧ نقلا من ديوان عمر ١١٢/٤

الكلام لا يليق بالفصحاء . والظاهر أنهم حين وصفوا قضاعة بالغمغمة كانوا يقصدون شيئاً من هذا القبيل. والغمغمة فى اللغة الكلام غير البيّن الذى لا يفهم تقطيع حروفه، وقيل هى أصوات الثيران عند الذعر وأصوات الأبطال فى الوغى عند القتال (١). ولم يذكر القدماء أى خبر أو شاهد يوضح المقصود من هذا الاصطلاح . وندرك من مفهومه اللغوى أنه يحمل معنى الجهر بالصوت من ناحية ، ونقص الكلام من ناحية أخرى . وفى رأى أن قضاعة إلى جانب ميلها إلى الجهر بالصوت ، كانت تميل أيضاً إلى هذا النوع من الحذف باعتباره وسيلة للتخلص من المقاطع المزدوجة وتحويلها إلى مقاطع أبين للحركة وأيسر على اللسان . ولم تكن قضاعة وحدها توصف بالغمغمة ، فقد ورد فى تاج العروس : غمغمة قريش (٢) .

وإذا كنا أميل إلى رد هذه الظاهرة إلى بعض لهجات الحجاز وقضاعة ، فلا سبيل إلى حصرها فى هذه البقاع ، إذ من المحتمل أن مصادر أخرى من لهجات اليمن وغربى نجد واليمامة (٣) ، قد عمقت هذه الظاهرة فى لهجات السودان وأمدتها ببعض عناصرها . ولا نزال

---

(١) اللسان [غمم] ، ابن يعيش ٤٩/٩ ، خزانة ٥٩٦/٤

(٢) تاج العروس للزبيدى ٦/٩

(٣) راجع ما ذكرناه من قبل فى الهامش تعليقاً على كلمتى عبد وشمس .

نجد بعض آثار هذا الحذف فى لهجات اليمن الحديثة فى قولهم أبزايد ، أبسلطان (١) .

٣ ـ والفتحة هى حركة الخلاص من التقاء الساكنين فى اللهجات السودانية ، بل هى حركة الوصل بصفة عامة . يفتحون آخر الكلمة إذا اتصل بما أوله ساكن ، فيقولون ودَّ التمرة (نوى التمر عند البديرية ودار حامد) ، قُتَّ اشنو (قلت ماذا ؟) ، زىَّ الهمر ، كلَّ الناس . ويفتحونه إذا اتصل ببعض الضمائر مثل كلَّهُن ، طبعَهنَّ ، زيّهن ، زيَّكن (أى كلهم ، طبعهم ، مثلهم ومثلكم) . وما كان مفخم الوسط أعادوا إليه السكون(٢)، وحركوا آخره بالفتحة ، مثل شمْسَ الضحوه ، شطرَ الناوه ، صقرَ الخلا ، أهلَ الغرب . ويفتحون آخر اللفظ المضعف عند الوقف والوصل ، يقولون : حَسَروّرَ وَلّ منامى (أى حبها قلل نومى)، الفارس يصُدَّ الخيل (الفارس يصدّ الخيل)، ذاك أقَلّ من دَ (ذاك أقل من هذا)، ذاكْ أقلَّ (ذاك أقلّ) . ويفتحون تاء المخاطب المفرد، وتاء المتكلم المفرد إذا التقت فى الفعل بساكن ، يقولون لبستَ (أى لبستَ أو لبستُ) أو التقت بساكن عند الوصل ، مثل لبستَ التّوب (أى لبستُ أو لبستَ الثوب). فإذا لم يلتق فى الفعل ساكنان

---

(١) د. خليل نامى (مجلة كلية الآداب بالقاهرة ١٠ ـ ١ (مايو ١٩٤٨) ص ٦٨ (يريدون ابن زائد وابن سلطان وربما كان معناه أبو زائد) .

(٢) فى حالة ما اذا كانت الوسط حرف حلق احتفظوا بحركة خفيفة عند الوصل تشبه الحركة التى تعطى لحرف الحلق الساكن فى اللغة العبرية .

فالأغلب إبقاء السكون على التاء عند الوقف ، مثل بعيتْ ، لقيتْ ، نسيت (أى بقيتُ ، نسيتُ الخ . . .) فإذا اتصلت بما أوله ساكن تحركت التاء بالفتح .

ومن الملاحظ أن اللهجات الحديثة فى مصر والمغرب تميل إلى حركة الكسر فى هذه المواضع كلها .

٤ ـ واللهجات السودانية تفتح ما قبل نون التنوين . والتنوين فيها سمة تميزها عن كثير من اللهجات الحديثة ، فهى تميل إلى إلحاق نون مسبوقة بفتحة فى أواخر الأسماء والصفات ، فيما عدا أسماء الأعلام . وهى ظاهرة عامة فى كلامهم ، فى الشعر والنثر . والفتحة تلازم النون دائماً ، وهو ليس تنوين إعراب ، ولا يطابق أى نوع من أنواع التنوين التى تحدث عنها النحاة القدماء (١) ، مثال ذلك :

ا ـ سمّوك الزبير فارْسَنْ تصدّ الخيل (أى فارساً ، قيل فى مدح الزبير رحمه)

ب ـ سارِيَتَنْ تجوّد لى الصّباح ما انفشّتْ (٢) (أى سارية ، وهى السحابة).

ج ـ وا باروك على وَلدَن يَفشّ الضّيم (٣)

---

(١) ابن يعيش ٩/٢١ ـ ٣٤

(٢) السحابة تجود بالمطر إلى الصباح لا تنقطع

(٣) بارك الله لى ولد يرفع عنا الضيم

د - شيخ عرَبَنْ كبيرَه كريشتو ما برازيك (١)

ه - بلدك بعيدَنْ جبْده (٢)

و - أبْ يلبَنْ ضعيف رجع مْتْهِن يمْحانْ (٣)

ز - راكْبَنْ لِي فوقْ جملَن أصهب

ح - يهرْوِل فى الدَّرْبْ درويشَنْ لِيْمي المدَّاحْ (٤)

وفى لهجات نجد ومصر لا يزال يوجد تنوين فى بعض العبارات المتوارثة ، كالأمثال ونحوها ، ففى مصر يقولون : يافرحةٍ ماتمت خدها الغراب وطار (أى يافرحة لم تتم، أخذها الغراب وطار)، لِردٍ مُوافقْ ولا غزالٍ شارد (أى قردٌ موافق خير من غزال نافر شارد) ، ويقولون ندرٍ نعليّ (أى نذراً على) (٥). وفى نجد يقولون فى أمثالهم : اسمٍ بلا جسم ، جرادةٍ بيدى ولا عشرٍ طياره (٦). وواضح أن هذا التنوين مقترن بالكسر دائماً ، وهو فضلا عن هذا بقية من تنوين

(١) شيخ عرب له كرش كبير كناية عن سعة الصدر أو عن الشبع والاستغناء ، فهو لا يسبب لك الأذى ولا يجلب لك الأرزاء .

(٢) أى بلدك بعيد مسافته طويلة (جبدة من جبد أى جذب)

(٣) أى صاحب القلب الضعيف رجع مُتهن باشاً

(٤) يشبه الشاعر جمله فى نشاطه وسرعة سيره ، بدرويش أخذته النشوة عند لقاء المداح الذى ينشد مدائح الرسول (ص)

(٥) الكنايات العامية لتيمور ص ٨٧ - ٨٩

(٦) الأمثال العامية فى نجد لمحمد العبودى (مصر ١٩٥٩) ١/٦ ، ٨ ، ٥٠ .

إعراب متأثر بالفصحى ، ومحاكٍ لها ، غير أن عامة مصر ونجد حولوا الفتحة والضمة فيه إلى حركة الوصـــل المألوفة لديهم وهى الكسرة . ومن ثم كان تنوين أهل مصر ونجد شيئاً يختلف تماماً عن تنوين أهل السودان . ولا نكاد نجد نظيراً لتنوين اللهجة السودانيـــة فى لهجات العصور الاسلامية التى انتهت الينـا ، إلا فى لهجة الأندلس التى اتخذت الفتحة حركة وصل ، وفتحت ما قبل نون التنوين (فالأصل فى العامية الأندلسية تسكين أواخر الكلمات ، ولكن حين يضطر المتكلم إلى تحريك آخر الكلمة للضرورات الصوتية يفتح ـ والعامية المصرية تكسر ـ وقد ينون بالفتح ، وربما رسم التنوين بألف ونون : حطام ا ن ، أى حطاما) (١) .

ولعلنا لاحظنا من الأمثلة المتقدمة أن التنوين فى العامية السودانية لا يدل على التنكير ، خلافاً لتنوين الفصحى ، وإنما يشبـــه أن يكون للتعيين والتخصيص ، وتأكيد الوصف أحياناً ، وهو لا يدخل على أسماء الأعلام والمعرفات بأل ، لأنهـا ليست بحاجة إلى تخصيص أو تعيين . وهـذا يدعونا إلى عقد صلة بينه وبين تنوين اللغات اليمنية الجنوبية العتيقة الذى كان يدل على التعريف والإشارة، مثل (وثنن)(٢)

---

(١) د. عبد العزيز الأهوانى : الزجل فى الأندلس (١٩٥٧) ص (ح) . وانظر أمثلة فى شعر ابن قزمان (نفس المرجع ص ٣١)

(٢) وردت الكتابة فى النقوش بدون حركات . لكن المرجح أن النون فيها كانت مسبوقة بفتحة (قصيرة أو طويلة) استناداً على ما ورد من أسماء يمنية جنوبية كاملة التشكيل فى كتب المؤرخين المسلمين من أمثال الهمدانى

أى الوثن أو هذا الوثن . ويعد هذا التنوين من الخصائص الأساسية للغات العربية الجنوبية القديمة (١) . ومن الثابت أن لغة الجعز (٢) ، وهى إحدى هـــذه اللغات التى انتقلت إلى اثيوبيا فى عصور ما قبل الميلاد ، كانت تستخدم الفتحة للوصل بين المضاف والمضاف اليه بصفة مطردة . والمفروض أن هـذا كان موجوداً أيضاً فى اللغات العربيـة الجنوبية أو فى بعضها على الأقل. وتبنى لغة الجعز الفعل الماضى على الفتح دائماً ، كما فى الفصحى ، وكما هو المتوقع فى العربية الجنوبية القديمة (٣) ، وهى فى ذلك تختلف عن العبرية ـ مثلا ـ التى تبنيه على السكون . ومن المحتمل أن الفتحة فى آخر الماضى كانت أصلا حركة الوصل التى ربطت بين الفعل وما بعده . ولعل هذه الحالات قد استمرت آثار منها فى لهجات المنطقة الجنوبية لليمن ، إلى ما بعد ظهور الإسلام . وربما كان لها الأثر الأكبر فى ظاهرة إيثار الفتحة ، فى التنوين وغير التنوين ، فى لهجات العصور الإسلامية كالتى ظهرت فى الأندلس والسودان. ولـكن لا سبيل إلى الزعم بأن حالات الفتح فى هذه اللهجات تطابق تماماً ما ألمعنا إليه فى تلك اللغات القديمة التى ترجع إلى عصور ما قبل الميلاد.

---

(١) اولندورف (المرجع السابق) ص ٨

(٢) استغنت لغة الجعز عن التنوين فى أثناء تطورها، وكان هذا مثار جدل بين العلماء المعاصرين (أولندورف ٨ ـ ٩)

(٣) انظر المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة لاغناطيوس غويدى (١٩٣٠) ص ٦ وما يليها .

فهناك بعض الاختلاف فى التفاصيل. ومن الطبيعى أن ظاهرة كهذه ، جابت الآفاق فى خلال مئات السنين ، وتسربت فى عديد من اللهجات ، وربما كان للهجات الحجاز وغيرها نصيب منها ، لابد أن تتعرض لشىء غير قليل من التغيير .

٥ - على أن لهجات غرب السودان أكثر حرصاً على الفتحة فيما إذا اتصل اللفظ بضمير الغائب المفرد الدال على المجرور أو المنصوب . فبينما نجد أهل شرق السودان وأواسطه يقولون : وصيتو (وصيته) ، هو زاتو (هو ذاته)، أنا دايرو (أنا طالبه) ، ضربو فى جبهتو (ضربه فى جبهته) ، فى جمبو (فى جنبه) ، أنا ما ضربتو (أنا لم أضربه) ، نجد أهل غرب السودان يقولون فى مثل هذه المواضع : وصيتَه، هو زاتَه ، أنى دايرَه، فلَعَ فى جبهتَه (فلقه فى جبهته ، لهجة دارحامد)، طعنَ فى نايطَه (ضربه فى جنبه ، لهجة البقارة)، أنى ماطعنتَه (أنا ماضربته)، فيفتحون ما قبل الهاء ، وهو بالضم فى اللهجات التى تقع إلى الشرق منهم .

ولقد روى القدماء شواهد عديدة ، بالفصحى ، عن حركة ما قبل هاء الضمير فى مختلف اللهجات . ويبدو أن تسكين الهاء وضم ما قبلها ، كان لهجة شائعة بين أهل اليمامة ، وكان لها أثر فى بعض جهات اليمن فى زمن مبكر (١) .

٦ ـ لاحظنا فيما تقدم من أمثلة أن (أل) تستخدم فى اللهجات السودانية فى موضعين، فى التعريف والوصل، وهى فيهما مفتوحة الأول ساكنة اللام (١).

ويستوقفنا (أل) أداة الموصول. وهى غير معروفة بهذه الصيغة فى لهجات مصر والمغرب ونجد والشام واليمن. وإنما يستعملون (اللّى) غالباً، والسودانيون لا يعرفون (اللى) إلا فى القليل النادر، والغالب عندهم استعمال (ألْ). يقولون: ألمعاهُ (الذى معه) ـ السِّمِع والشّاف (الذى سمع والذى رأى) ـ البيتو َفزَاز مابجدِّع الناس (الذى بيته زجاج لا يرمى الناس) ـ البارح رأيت الكُنْت بزَّكَّرها (أمس رأيت التى كنت أتذكرها). فهى تدخل على الأسماء والأفعال والأدوات، وتستعمل للواحد وغير الواحد، وللمذكر والمؤنث.

واللغة النموذجية الفصحى تعد هذه اللهجة شاذة فى القياس والاستعمال (٢). وأورد لها الرواة بضعة عشر شاهداً من الشعر الفصيح (٣). و (أل) فى هذه الشواهد تدخل على الأسماء والأفعال والأدوات على نحو ما تصنع اللهجة السودانية. ومن تلك الشواهد

= سكان اليمامة (ابن الحنبلى [١٩٣٨] ص٤٥)، وقول أبى النجم العجلى، وهو من أهل اليمامة أيضاً [ابن يعيش ٧٢/٩]، وقول شاعر من اليمن رواه نشوان الحميرى [رابين ٣٩].

(١) [أل] للتعريف تأتى مكسورة الهمزة فى لهجات مصر والجزائر

(٢) انظر ابن يعيش ٢٥/١

(٣) خزانة ٤٠/١ ـ ٤٤

سبعة أبيات لذى الخرق الطُّهوى ، وهو شاعر جاهلى ، استخدم فيها أداة الموصول (أل) فى ثلاثة أبيات(١). والشاعر ينتمى إلى (طُهَيَّة) فرع من تميم ، كانوا يقيمون باليمامة فى موضع يقال له السر ، ولهم وقائع مع أهلها ، وهو فى هذه الأبيات يهجو أحد بنى قيس بن ثعلبة ، وكان لهم أيضاً قرية باليمامة يقال لها منفوحة (٢) ، وربما استخدم (أل) للموصول فى بعض لهجات تميم ، فقد وردت فى أحد أبيات للفرزدق (٣) . وفى بعض الشواهد التى لم يعرف قائلوها ، إشارة إلى حصن المشقر وهو بالبحرين . ونقل ابن دريد وابن خالويه قول نساء الأعراب وهن يؤخِّذن رجالهن : أعيذه باليَنجلب (٤) ، أى بالذى ينجلب ، أى يطلب ويراد . ولعل ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) الذى نقل عنه ابن خالويه غالباً (ت ٣٧٠ هـ) يتحدث عن أعراب بلده . وابن دريد من أزد عمان ، وعاش فى عمان زماناً طويلا . فلعل العبارة تمثل لهجة المنطقة التى امتدت من اليمامة إلى أزد عمان (انظر الخريطة ص١٥).

٧ - وتؤلف « الصيغ » فى لهجات السودان نموذجاً من المركبات

---

(١) شك الصاغانى فى أحد هذه الأبيات [خزانة ١/٤٤]

(٢) صفة جزيرة العرب للهمدانى ١٦٢ ، ١٦٥ ، معجم البلدان لياقوت [ماسط] ، كحالة : معجم القبائل ٢/٦٨٥

(٣) خزانة ١/٤١

(٤) المزهر ١/٤٨٧ . والتأخيذ منع المرأة زوجها عن غيرها من النساء بحيلة من أعمال السحر

اللغوية التي تولدت من التقاء لهجات قديمة شتى في تكوينها . وبينما نلتقي في السودان بكثير من صيغ الأسماء والأفعال والأدوات المألوفة لدى أكثر الناطقين بالعربية ، ولها نظائر جمة في اللغة الفصحى ، نجد صيغاً أخرى ، شائعة متداولة على ألسنة السودانيين ، ولكنها غير مألوفة في الفصحى ، وقلما سمعنا عنها في اللهجات الحديثة . خذ مثلا من جموع التكسير ، فمنها صيغ معروفة في السودان وغيره ، كقولهم عُلَما (ج عالم) - قُلُوب (ج قلب) - نيران (ج نار) - رُهبان (ج راهب) - عجايز (ج عجوز) - صناديق (ج صندوق) . فهذه لها نظائر في الفصحى مع تغير صوتي طفيف في بعضها ، ومثلها قولهم : رُجال (ج راجل) حُجار ، وهما بالضم ، وفي الفصحى بالكسر رِجال ، حِجار وحجارة) - دَيَكَهْ (ج ديك) فورَه (ج فار) ، تَيَسه (ج تَيس) بفتح الأول والثاني والثالث ، بينما هو في الفصحى بكسر الأول وفتح الآخرين (دِيَكة ، فِئرة ، تِيَسة) (١) .

ومنها جموع لا نكاد نجد لها نظيراً في الفصحى ، كقولهم عَجَّال (ج عجل) - رَمَّاش (ج رمش) - عَرَّاق (ج عرق) - وقولهم ، بَنُوت (ج بنت) - جَنُّوى (ج جنى أي الولد) ، وقولهم : نَسَوَّنْ (النساء ولا واحد لها من لفظها) - عَجَوَّزْ (ج عجوز) - دَرَفَّنْ (ج درفون ، الطفل ، كلمة أجنبية الأصل) . وتستوقفنا هذه الصيغ :

(١) ويقولون أيضاً فوسه [ج فاس] ولا يجمع في الفصحى على هذه الصيغة

فعّال، فعُّول ، فَعَّوْل (وفعلّل)، جموع تكسير . ولا تكاد تعرف الفصحى منها إلا ما ورد على وزن فعُّول من قولهم : قومٌ سلُّوق ، أى يتقدمون العسكر فى الحرب ، والكيُّول : هو مؤخر الصفوف فى الحرب(١)، وما ورد على وزن فَعَّوْل من قولهم: سَنَوَّر ، وهى جماعة الدروع ولا واحد لها من لفظها (٢) . وليست هذه الألفاظ الثلاثة ، فى الواقع ، جموع تكسير ، وإنما هى أسماء جملة (٣) ، يدل كل منها على جنس متركب من غير واحد من الأفراد ، ومثلها القوم والحى والقبيلة والأهل، فهى تتضمن معنى الجمع من حيث إنها تدل على المجموع والجملة ، وتتضمن معنى المفرد من حيث إنها هيئة متركبة متميزة عن غيرها . لذلك لايلزم أن يكون لها واحد من لفظها ، ويمكن جمعها فيقال أقوام وأحياء وقبائل الخ . . . ثم تطورت على مر الزمن ، فأصبحت جموع تكسير أى تدل على تعدد الأفراد ، وقيس عليها ، فوضع للمفرد جمع على صيغتها ، واحتفظت بشىء من تصور اسم الجملة القديم ، فعوملت معاملة المفرد فى بعض الحالات ، والجمع فى بعضها الآخر . ومن هذا

---

(١) المزهر ٢/ ١٠٠ . وفى الحديث أن رجلا أتى النبى [ص] وهو يقاتل العدو فسأله سيفاً يقاتل به . فقال له : فاملك إن أعطيتك أن تقوم فى الكيول [اللسان : كيل] . ويقال كان الزند إذا كبا ولم يخرج ناراً فشبه مؤخر الصفوف به لأن من كان فيه لا يقاتل . والسلوق من سلق على الجبل أو الحائط صعد عليه

(٢) المزهر ٢/ ١٩٩

(٣) Collective nouns

ندرك أن ما ورد فى اللهجة السودانيـــة على هذه الصيغ ، مثل بنوت وجنوى(١) ونسون وعجوز ، هو فى الغالب أسماء جملة فى الأصل ، يدل على ذلك نظائرها فى الفصحى . وفى هذا بعض ما يؤيد قول الباحثين المعاصرين بأن جموع التكسير نشأت من أسماء الجملة (٢) .

ومعظم جموع التكسير تختص باللغة الفصحى والعربيـة الجنوبية وتوابعها فى إثيوبيا، وقلما ظهرت فىاللغات السامية الشمالية القديمة(٣). ثم أتيح لهـا أن تنتشر فى اللهجات العربية القديمة ، وأن تنتقل إلى اللهجات الحديثة فى السودان وغيره من مصادر متعددة . على أن هذه الصيغ التى وردت فى اللهجة السودانية من مثل : بنوت ، نسون، قد يكون لها مصدر معين . ولعلنا لاحظنا أن نظائرها فى الفصحى تحمل مدلولا خاصاً ، هو بعض أسلحة القتال وتنظيم الجيوش . فمن المحتمل أن تكون الفصحى استعارتها من بعض الجهات التى اشتهرت بتلك الصناعات قديماً (٤) .

٨ - وكما ترد صيغة فعال لجمع التكسير، ترد للمبالغة كما فىالفصحى،

---

(١) أشرنا فيما سبق إلى أن فعول صورة منفخمة من فعال (انظر ص ٥٦)

(٢) برجشتراسر : التطور النحوى ٣ ، ٦٩

(٣) نفسه ص ٦٩

(٤) قارن حلية الفرسان لابن هذيل الأندلسى ، تحقيق محمد عبد الغنى حسن ١٩٤٩ ، ص ٢٢٧

فيقولون كرّار، أى شجاع كثير الكر على العدو ، قوّال (كثير القول)، طوّاف (كثير الطواف). ولكن يقولون أيضاً كاتال (أى كثير القتل)، فاراط (أى بخيل) . ومثل هذا الوزن - فاعال - لا يأتى فى الفصحى صفة ، وقد يأتى فى الأسماء وهو قليل (١) . وهناك صيغة فعال الدالة على الحرفة ، مثل نجّار ، صيّاد ، حلّاق ، نجدها فى السودان كما نجدها فى الفصحى. ولكن إلى جانبها صيغة (فعّالى) كثيرة مألوفة فى السودان، فيقال : حطّابى لبائع الحطب ، سيافى لصانع السيوف ، حرابى لصانع الحراب ، تمّارى لبائع التمر ، طبّابى للساحر ، وقد نسمعهم يقولون حلّاقى وسمّاكى. وهى تذكرنا بصيغة (فعالى) الدالة على الحرفة فى لغة (الجعز) مثل صحافى (أى كاتب) نجارى (أى راوية أو قصاص) نجاشى (أى حاكم أو ملك) ، غير أنها بتخفيف الحرف الثانى فى هذه اللغة . وهى صيغة اسم الفاعل من صحف ونجر ونجش ، وفى اليمنية الحديثة يقولون (أتاوى) أى غريب وهى نفس الصيغة الإثيوبية(٢). والصيغة معروفة فى لهجات الشام الحديثة بتشديد الحرف الثانى .

وللهجات السودان ولع خاص بصيغ التصغير، وهى كثيرة متنوعة عندهم. منها ما هو مألوف فى سائر اللهجات الحديثة ، كقولهم : وليد ، بنيّه، شويّه، جريو (تصغير ولد ، بنت ، شىء، جرو). ومنها ما يضمون

---

(١) مزهر ٢/٥٥

(٢) د. خليل نامى [مجلة كلية الآداب ١٩٤٨] ص ٦٩

أوله ويشددون فيه الحرف الثانى مثل بُرّيبه (الظبية الصغيرة)، حمّيده (تصغير حمد أو حامد أو نحوه). وقد ورد فى الفصحى على هيئة المصغر ألفاظ على هذا الوزن(١). ومنها فى السودان ما يرد على وزن فعُّول ، فعُّوله، ويختص غالباً بأسماء الأعلام، ويقصد به التمليح، مثل : حسُّون، حسُّونه ، علُّوب ، علُّوبه ، فطُّونه ، عشُّوشه (تصغير لحسن وعلى وفاطنه وعاشه أى عائشه). وهى صيغة مألوفة فى لهجات مصر والمغرب وبلاد الشام . وقديماً عرفت فى الفصحى فى طائفة من الأسماء التى تشير مدلولاتها إلى مصادر متعددة (٢) .

وقد يُلحق السودانيون بنهاية اللفظ المصغر علامة (ـُون) للمذكر، (ـُونه) للمؤنث ، وهى أيضاً علامة تصغير للمبالغة فى تقليل الشىء أو تمليحه أو تقريبه، كقولهم: صغَيرون، صغيرونه ـ دقَيقون، دقيقونه (من الدقة)ـ شوَيْتون، شوَيتُونه (أى شىء قليل للغاية)ـ سميْحُون، سمَيْحونه (السمح هو الحسن أو الجميل)ـ هنَيْتون وهنَيتْونه (تصغير هنا اسم الإشارة للقريب ، يريدون غاية القرب) .

واللغة الفصحى لا تصطنع هذه الطريقة ، ولكن وجدت العلامة النهائية (ـُون) من قديم فى لهجات المغرب والأندلس ، فألحقت بأسماء

---

(١) مزهر ٢/٢٠٣

(٢) انظر معجم ياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى فى المواد : بلوقه ـ فلوج وفلوجه ـ عبود ـ هبود ـ مروت .

الأشخاص غالباً ، وقصد بها التمليح ، فى مثل خلدون ، عبدون ، زيدون ، حمدونة . ويختلف الباحثون فى أصل علامة التصغير هذه . فزعم بعضهم أنها عربية جنوبية(١). وقد نجد بعض أسماء أمكنة قديمة فى حضرموت تنتهى بالواو والنون ، ولكن أصل اشتقاقها غير معروف (٢) . وزعم بعضهم أن الأصل فيها (ـون) التى وجدت فى نهاية بعض أسماء فى العبرية والسريانية ، والتى تعطى معنى التصغير الدال على التمليح (٣) . ولا تزال بقية منها فى لهجات الشام الحديثة فى قولهم : عمّو ، خالو يريدون العم والخال (٤) .

٩ ـ وفى الأفعال المزيدة التى على وزن اتفعَل ، اتفعّل ، اتفاعل ، نجد ظاهرتين مختلفتين : إحداهما تجانس بين الأصوات ، فتدغم التاء فيما جاورها فى قولهم : ازّكّر (تذكر) ـ يدّلّى (يتدلى) ـ اشّابكَتْ (تشابكت) ـ ارّشّت (اترشت من الرش) . ومثل هذا يحدث فى آخر اللفظ فى مثل شاهتّ (شاهدتَ) ، جريتّو (جريدته) . ففيها يتأثر

---

(١) راين ٢٩

(٢) انظر معجم ياقوت [دمون ، هدون] ، صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ٨٥

(٣) راين ٢٩

(٤) الواو فى عمو وخالو ليست ضمير الغائب المفرد . والأصل فيها الواو والنون ، وقصد بها التمليح

الصوت الأول بالثانى فيفنى فيه، ويشدد الحرف الثانى، وهو النوع الغالب من التشابه الصوتى بين الحروف فى لهجات السودان (١).

ولكن بعض لهجات السودان تحتفظ بالصوتين دون إدغام أو مجانسة فى كثير من الأمثلة المتقدمة فيقال: اتزكر، اتشابكت، اترشت.

وقد يجانسون بين الحركة والحركة، مثل قولهم دَيَكه (جمع ديك) فأبدلوا الكسرة الأولى فتحة لمجانسة الفتحة التى تليها، ولكن هذا قليل فى كلامهم.

والظاهرة الثانية، وهى الغالبة فى كلامهم، هى المخالفة بين الأصوات بنوعيها. وفى لهجة البقارة فى غرب السودان، يقولون فى اتكلم، اتحزم، اتعشّى: ألكلّم، الحزّمْ، ألعَشّى. وإبدال التاء لاماً فى هذا ونحوه، حدث غالباً على خطوتين: فى الأولى أدغمت التاء فى الحرف الذى يليها فصارت أكلّم، احّزم، اعّشّى، ثم تخلصوا من التشديد بالمخالفة بين المثلين، فقلبوا الساكن منهما لاما. وقد يكون الحرف الذى يقوم مقام أول المثلين لاما أو نونا أو راء أو ميما أو حرف لين. وفى السودان يقال: التّوب مشلتت (أى الثوب مقطع)، وأصله مشتّت، خالفوا بين التاءين فقلبوا التاء الأولى لاما. وفى مصر يقولون (التوب مشرمط) وأصله مشرّط، خالفوا بين الراءين بالميم،

(١) يسمى التشابه المدبر أو الرجعى [انظر اللهجات، د. ابراهيم أنيس «ط ١» ص ٥١، برجشتراسر: التطور النحوى ص ١٩]. أما التشابه المقبل الذى يتأثر فيه الصوت الثانى بالأول، فهو قليل فى السودان، ومثاله: الصبع والسد «الإصبع والأسد».

ويقولون مسلَطَح يريدون مسطّح، فخالفوا باللام . وفى الفصحى يقال: بلطح أى ضرب بنفسه إلى الأرض (١) . وأصلها بطّح بتشديد الطاء .

وقد يكون التخالف الصوتى بين الحركة والحركة ، وهو كثير فى لهجات السودان ، ويقال فى لهجة الشكرية والشايقية والمسيرية الزرق ودار حامد : بِقَى ، رِضَى ، فِنَى ، يريدون بَقِىَ ورَضِىَ وفنى ، فقلبوا ياء الفعل ألفاً ، وكسروا الأول للمخالفة بين الحركتين . وهذا بخلاف لهجة طيء التى احتفظت بفتحة الحرف الأول مع قلب الياء ألفاً (انظر ص ٢٧). وبينما نجد بعض اللهجات الحديثة كما فى صعيد مصر وبعض جهات اليمن ، تجانس بين حركات الفعل المضارع فى مثل يُضرُب ، يِكتِب ، نجد السودان يفتح حرف المضارعة ويحرك عين الفعل فى مثل هذا بحركة مخالفة . وليس قولهم نام ينوم ، غار يغير إلا مثلا من التخالف بين حركتى الماضى والمضارع، فى حين تجانس الفصحى بينهما فتقول نام ينام ، غار يغار ، وتمضى لهجة طيء فى المجانسة إلى حد قولها مات يمات ودام يدام . وتظهر الصيغة المتخالفة فى السودان فى غير الفعل ، فيقال مثلا : شَهيد ، كَبير ، سَمِين ، بفتح الأول كما فى الفصحى ، بينما تميم يكسرون الأول للمجانسة ، فى مثل رِئى ، بعير(٢) ، وفى القاهرة وبعض جهات الوجه البحرى يكسرون

---

(١) اللسان « بلدح »

(٢) لسان العرب «رأى» يقول : «وتميم تقول رئى بكسر الهمزة والراء مثل سعيد وبعير » .

الأول فى مثل سَمِين وكبير وسعيد. وفى السودان يقولون ، المعركة ، بكسر الراء ، والحجازيون القدماء يخالفون بين الحركتين فى صيغة مفعلة ، أما التميميون فيجانسون بينهما (١) . والبصرة ، بلد العراق ، تنطق فى اللهجة السودانية بكسر الباء غالباً ، والفصحى تجيز فيها الكسر والضم والفتح ، ولكن الفتح أعلى ، والفتح لهجة غير حجازية فى الغالب . ويقال فى السودان : جدادة (بكسر الأول ـ أى دجاجه) ، سحابة (بكسر السين) فيخالفون بين الفتح والكسر . والتجانس والتخالف كلاهما (٢) معروف فى اللهجات واللغات السامية ، ولا تخلو واحدة منهما . ولكن يظهر مما سبق أن لهجات نجد القديمة كانت أميل إلى التجانس الصوتى . والفصحى ، كعادتها ، تجمع بين الظاهرتين ، وإن كانت أميل إلى التجانس ، كلهجات نجد . وأمثلة التخالف الموجودة فى الفصحى أقل مما نجده فى لغات أخرى كالبابلية والآرامية(٣). أما لهجات السودان فهى أميل إلى الصيغة المتخالفة ، وهذا يعنى أن مزاجها العام فى هذه الناحية لم يتأثر عموماً بلهجات نجد .

١٠ ـ وبعض لهجات السودان ، فى الغرب والشرق ، تقول :

---

(١) المزهر ٢ / ٢٧٦ لم يضبط الناشرون الكلمات ، مزرعة و قبرة ومشرعة . والغالب أنها بالفتح عند تميم وبالضم عند الحجازيين « قارن بلسان العرب » المواد : زرع . قبر . شرع » .

(٢) يطلق الفرنجة على التجانس الصوتى **Assimilation** والتخالف الصوتى **Dissimilation** .

(٣) برجشتراسر : التطور النحوى ص ٢٣ .

أنطيتو العصا (أى أعطيته العصا)، أنطانى (أى أعطانى) . وبعض أهل السودان مثل دارحامد والبديرية والهواوير لايقولون أعطى ولا أنطى وإنما يستعملون اللفظ (أدّى) كما هو فى مصر . وقديماً شاع استعمال «أنطى» فى جزيرة العرب فى لهجات عديدة ، فى الحجاز ، وفى شمال اليمن وجنوبه ، وفى غربى نجد . وهى لغة أهل بادية الشام ومصر منذ زمن بعيد (١) . وسمى السيوطى هذه الظاهرة (الاستنطاء) ، ووصفها بقوله :(الاستنطاء فى لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء كأنطى فى أعطى) (٢) . ولا نظن هذا صحيحاً ، فالأمر كله مجرد اتفاق جمع بين أنطى وأعطى . وليس لهما أصل مشترك ، وإنما هما فعلان مختلفان (٣) . فأنطى فى العربية أصله نطا ينطو أى مدّ يمدّ ، يقال نطوت الحبل أى مددته ، وهو من أصل يختلف عن عطا يعطو بمعنى تناول ، وإن كان معنياهما يتقاربان فى الاستعمال . ولكل لفظ فى الفصحى مادته ومشتقاته، وظن السيوطى أن العين الساكنة أبدلت نوناً ، وليس هناك إبدال على الحقيقة ، ولا لتسكين العين أو تحريكها علاقة ما بالصيغة النونية(٤) .

١١ – وفى الضمائر المتصلة والمنفصلة يستوقفنا الضمير (أنا) الذى

---

(١) ابن الحنبلى : بحر العوام ص ٤٨ ، مميزات لغى ناصف ص ١٣

(٢) المزهر ٢٢٢/١

(٣) لتمان « مجلة كلية الآداب ١٩٤٨ » ص ٢٦

(٤) انظر فى اللسان مشتقات المادتين

نسمعه (أنى) عند الكبابيش فى غرب السودان . وهى صيغة سامية قديمة ، ولا تزال ماثلة فى اللهجات الحديثة فى بلاد الشام والعراق والمغرب ، وفى مصر عند أهل الأسكندرية . ومن الجائز أنها كانت مستعملة قديماً فى بعض لهجات الشمال الغربى من الجزيرة العربية .

وتشيع فى السودان عبارة الترحيب « حبابك عشرة » (أى مرحباً بك) بفتح باء الجر فى هذا الموضع خاصة ، وهو كثير فى لهجات الشام الحديثة . وأشار السيوطى إلى أن قضاعة تقول مررت به (بفتح الباء وسكون الهاء) (١) .

وقد يرد الضمير المتصل للدلالة على المصاحبة ، وهو استعمال غريب على الفصحى . يقول السودانى لصاحبه : أرَحْكَ (أى لنذهب ، إذا كان المخاطب مفرداً مذكراً) ، أرَحْكِ (للمخاطبة)، أرحكُن(٢) (للمخاطبين الذكور) ، أرحكَن (للمخاطبات الإناث) ، ألعباكَ ، ألعباكِ (لنلعب) أمشاك السوق (لنمش إلى السوق) ، أمشاك ، أمشاكن ، أمشاكن الخ . . . وكأنهم قالوا للشخص المخاطب : اذهب والعب وامش وأنا معك . فأضافوا إلى مجرد الخطاب الذى يدل عليه الكاف ، معنى الظرف الدال على المصاحبة . وقريب من هذا التركيب عرف قديماً فى لهجات غربى نجد عند بنى عامر وبنى سليم . يقول بنو

---

(١) مزهر ٢٠٧/١

(٢) ونسمع فى أم درمان أحيانا أرحكا كن

عامر : سل عنك أى سل عما بدا لك(١) ، إذا اراد السؤال عما عند المخاطب أو ماعه من مسألة أو خبر . ويقول بنو سليم : كا أَنْتَنِي ، أى انتظرنى فى مكانك (٢) ، وكأنهم أرادوا أن يقولوا : انتظرنى لتكون معى كا أنت الآن .

١٢ - وفى السودان ، يقال فى السؤال عن الشخص : منو (بضم الميم أو كسرها) إذا كان المسئول عنه المفرد المذكر ، ويقال منى المؤنث ، ومنن (بضم الميم أو كسرها) للجماعة . يقولون ألمرق منو ؟ (من الذى خرج ؟) ، ألمرقت منى (من التى خرجت ؟) المرقو منن (من الذين خرجوا ؟) ، وإثبات الزوائد بمن الاستفهامية على هذا النحو لهجة قديمة ورد فيها شاهد بالفصحى ينسب إلى شاعر قديم من غسان وهو قوله :

أتوا نارى فقلت مَنُون أنتم ** فقالوا: الجن، قلت عموا صباحا(٣)

ومن المحتمل أن تكون أيضاً لهجة حجازية قديمة (٤)

---

(١) مميزات لغى ناصف ص ٢٩

(٢) [illegible] « عند »

(٣) وورد بيت آخر مشابه له إلا أنه ينتهى بقوله « عموا ظلاما » وينسب الى شاعر من ضبة « خزانة ٣/٣ ومايليها » .

(٤) مميزات لغى ص ١٧ . ويستخدم السودانيون أيضاً لفظ ياتو للسؤال عن الشخص ، ويثبتون به الزوائد ، يقولون ياتو « من هو ؟ » ياتى « من هى ؟ » وعند الهواوير يانا » ، ياتن « من هم ؟ وعند البديرية يام بتشديد الميم المفتوحة » . وكذلك تلحق الزوائد بكيفن « بكسر الفاء وسكون النون ، وهى نون توكيد »

ويقوم النحت بدور فى تكوين أداة الاستفهام ، وكثيراً ما يدخل لفظ (شىء) فى الكلمة المنحوتة . ففى الشايقية وبعض الكبابيش يقولون شقّيش ؟ (شق أى شىء ؟ والشق الناحية ، يعنى إلى أين ؟) وعند المسيرية قبليش (قبال أو أمام أى شىء ؟) . ويشيع استعمال شنُو ، شينو ، إشنو ، على اختلاف لهجاتهم ، والأصل فيها أى شىء هو ، وتعنى عندهم ماذا ؟ ويرادفها إيش (ماذا ؟) .

وأغلب الظن أن هذه الصور المنحوتة قديمة ، ترجع إلى أصول مشتركة ، إذ نجدها فى كثير من اللهجات الحديثة ، فالعراقى يقول اشنو ، وفى الشام وبعض جهات مصر يقولون إيش (ماذا ؟) ، وأهل نجد يقولون إيش ، وَشْ بنفس المعنى ، وفى الجزائر وَاشْ الخ ...

غير أن الشين النهائية التى تصحب الصيغة المنفية عادة فى اللهجة المصرية ، لا تستعمل فى السودان إلا فى مثل قولهم ما فيش ، إلى جانب (ما فى) (أى لا يوجد) ، ويجمعونها على ما فيشين (أى غير موجودين) . وفيما عدا هذا يقول السودانى ما عندى . وما سوّيت (أى ليس عندى ، وما صنعت) ، ويقـول المصرى ما عنديش ، وما عَمَلْتِشْ . .

وتستخدم (ما) فى النفى والنهى غالباً(١)، يقولون : ما يادر يسوّى

---

(١) وقد تأتى « ما » زائدة مثل قولهم : هن ما هن صغار « أى هن صغار » — لا من قسمنا الإبل « إلى أن قسمنا الإبل بيننا » — إنت ماك ماشى

الشّغله دى (لا يستطيع أن يصنع هـذا العمل) - الشر ما تبادرو (لاتبادر الشر)- ألما بدُورك ما تدورُه إكان فَـكى ما تزورو (الذى لا يحبك لا تحبيه (حتى) إن كان فقيها لا تزره) (١) - ما لقيتو (لم أجده) . ولهـذا الاستعمال نظائر فى لهجات اليمن الحديثة وصعيد مصر (٢) . وقد استغنت هذه اللهجات عن لم ، لمـا اللتين فى الفصحى وجعلوا (ما) تقوم مقامهما . وهذا ما لوحظ أيضاً فى لهجات الشام(٣).

وتلحق ضمائر الرفع المتصلة بما ، فى اللهجات السودانية ، يقولون : ما نى الهَـوَـيّن (ما أنا الهيّن أى البسيط أو الساذج) - موّ فاراط (ما هو بخيل)-ماكْ عارْفانَ يابُرّيبه مانَ خفاف (ما أنت عارفة إيانا أيتها الظبية الصغيرة ، فما نحن خفاف العقول) - ماها(٤)المره السّمّيه (ما هى بالمرأة الثرثارة التى تتفرغ لسماع القيل والقال). وهذا يذكرنا بما أشار إليه نحاة الفصحى من أن بعض العرب يقولون فى (لولا) :

= « انت ماشى » وهى تقابل فى اللهجة المصرية : منت ماشى » — ماه جه «أى هو جاء » — مم جا ما يابلتو « منذ أن جاء لم أقابله » .

(١) لهجات الجزيرة لعبد الحميد طلب/ص ١٠٩ .

(٢) د. خليل نامى « مجلة كلية الآداب ١٥ — ١ » ١٩٥٣ ص ١١٣ ، وفى كتاب الادفوى « الطالع السعيد فى أعيان الصعيد » أمثلة من هذا الاستعمال فى صعيد مصر « انظر مثلا ٣٤ = ما يؤخذ بدلا من لا يؤخذ »

(٣) ابن الحنبلى [بحر العوام] ص ٤٥ هامش

(٤) وتستعمل أيضاً [مى] بمعنى [ما هى]

لولاه ولولاها ولولاى ولولاك الخ ... ، وهو استعمال غير قياسى ، وأوردوا له شواهد من شعر أهل الحجاز (١) .

١٣ - وتستخدم اللهجات السودانية دا ، دى ونحوهما للاشارة كما هو الحال فى كثير من اللهجات الحديثة . فللإشارة إلى القريب يقولون دا (للمفرد المذكر) - دى (للمفرد المؤنث) - ديل (للمثنى والجمع). وللإشارة إلى البعيد داك (للمفرد المذكر) - ديك (للمفرد المذكر) ديلاك (للمثنى والجمع) . وكلاها تأتى للتبعية الوصفية بعد المشار إليه، يقال: الراجل دا (أو داك)- الرُّجال ديل (أو ديلاك)- البَنُوت ديل (أو ديلاك) . وعند الكبابيش يميلون ألف (دا) نحو الياء : دى . يقولون : الراجل دى . وقد تتقدم (دا) على المشار إليه فى مثل قولهم (دَحين) بمعنى الآن ، فالأصل فيها ذا الحين أى هذا الحين . وهى تقابل دحِّين فى اللهجة الحجازية الحديثة . ويقال دِلوَكْت فى اللهجة المصرية ، وأصلها (ذا الوقت) . ومثل هذه الألفاظ التى يتقدم فيها اسم الإشارة (دا) على المشار إليه ، قليل فى اللهجات الحديثة عامة ، وفيها التصق اسم الإشارة بالمشار إليه حتى صارا على مر الزمن كلمة واحدة ، وهى تشير إلى أصول قديمة أجازت تقديم اسم الإشارة على المشار إليه فى ترتيب الكلام .

---

(١) انظر خزانة ٢/٤٣٩ — ٤٣٢ . أما القياس عندهم فهو الاتيان بالضمير المنفصل بعد لولا : لولا هو ، لولا هى ، لولا أنت الخ ...

غير أن اللهجات السودانية تستخدم أداة أخرى للإشارة ، وهى (هَ) ، وتأتى دائماً قبل المشار إليه المحلى بأل ، وتستعمل للإشارة إلى القريب والبعيد ، والمذكر والمؤنث، والمفرد وغير المفرد . يقولون: هَ الوكيت (هذا الوقت) ـ هَ الدينه (هذا الصيد) (١)ـ هَ اللَّيَّام (هذه الأيام)ـ هَسَّع (الآن ، هذه الساعة) (٢) .

ويبدو من مقارنة اللغات السامية أن هناك صلة عريقة بين هاء الإشارة وبين ضميرى هو ، هى . وفى اللغات العربية الجنوبية القديمة يستخدم (هو) للإشارة إلى المذكر ، (هى) للإشارة إلى المؤنث (٣) . وبقى هذا الاستعمال فى لهجات العصور الإسلامية ، فظهر فى لهجة الأندلس إذ يقال فيها : قعدت فى هُـو المكان ، وأتيت هى الأيام أى فى ذلك المكان وتلك الأيام (٤) . واتخذت بعض اللغات السامية الشمالية هاء الإشارة ، فظهرت فى نقوش اللهجة اللحيانية التى عاشت فى

---

(١) الديفة اسم مؤنث ، وهو لفظ بداوى الأصل (أى من لغة البجة) وهو والدوف المستعملة فى اللهجة السودانية من أصل واحد . والدوف فى البداوية تعنى اللحم الذى لا عظام فيه .

(٢) يقال هسع ، هسه ، حسه ، حسع ، على اختلاف لهجاتهم ، وقع النبر على المقطع الأول فاختزل المقطعان الآخران فى مقطع واحد (سا + عه = سع) وفى بعض مناطق الجزيرة يقال : هساعيتى .

(٣) ا. غويدى (المختصر فى علم اللغة الجنوبية) ص ٦

(٤) د. عبد العزيز الاهوانى (مجلة معهد المخطوطات مجلد ٣ ج ٢ ص ٢١٩ [نوفمبر ١٩٥٧] ألفاظ مغربية من كتاب اللخمى فى لحن العامة)

الجاهلية فى منطقة الشمال الغربى . غير أنه لا يظهر من كتابة هذه النقوش أنها كانت تفرق بين المذكر والمؤنث فى استخــدام اسم الإشارة (١) .

ومن الألفاظ التى يستخدمها السودانيون فى معنى (الآن) مثل «سع، دحين ، كلمة (دابو) . يقولون: الزول دابو جه (أى جاء الآن) وقد يأتون بها على صيغة المصغر: دويبه ، كقول شاعر البطانة : غَـنْ ليهن دويبه والزمانَ الفات (أى غنوا لهن فى الحاضر وفى الماضى). واللفظ معروف قديماً فى لهجـة الأندلس (ذاب - بالذال المعجمة) يقال جئته ذاب أى الآن . وانتقل إلى لهجة المغرب بالدال بدلا من الذال (٢) . ووصـــل إلى اللهجة المصرية بتفخيم الألف نحو الواو (دوّب) فيقال : يادوّب جه (أى جاء منذ لحظة وجيزة) . ويبدو أن (يا) التى اقترنت باللفظ فى اللهجة المصرية ياء أندلسية ترجع إلى أصل أسبانى ، وهى ظرف لتأكيد الحال (٣) .

١٤ - واللهجات السودانية لا تعرف إلا يا النداء المستعملة فى الفصحى . غيرأنها تجيز إدخالها على أل، فتقول : يا الطيب (الطيب اسم علم) - يا الصالحين (أيها الصالحون) - يالتعرفو الدركان (يامن تعرفون

---

(١) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام د. جواد على (١٩٥٧) ٧/١٤٦

(٢) من مقالة د. عبد العزيز الاهوانى فى مجـلة معهد المخطوطات العربية المشار اليها ٣ ـ ٢ / ٢٨٦ .

(٣) قارن الزجل فى الأندلس للأهوانى (مقدمة ص ح)

الرجل المتعب منهوك القوى) . وهذا ونحوه يعبر عن لهجة قديمة ورد فيها بضعة شواهد بالفصحى ولا يعرف قائلوها(١). وما يقوله السودانى مبدوءً بحرف النداء من مثل: ياريت (ياريت) - ياحليلَ (ما أحلاها) - يا هيله (من هال عليه التراب ، يعنى الويل والتحسر) هو تركيب عربى وله نظائر فى الفصحى (٢) .

وكما أن لهجات السودان لا تستعمل (يا) التى لتأكيد الحال ، فكذلك لا تعرف (يا) التى تفيد التفصيل والتى تقوم مقام (إما) فى اللهجة المصرية فى كثير من الأحيان ، فالمصرى يقول : اللى يطلع للبلح يا ينزل يا يقع يموت (مثل شائع ، يعنى أن الذى يتسلق النخلة لجنى البلح إما أن ينزل سالماً وإما أن يسقط ميتاً) ، ويقول : العدد ياجوز يافرد (أى إما زوج وإما فرد) . وقد يستعمل المصرى إما ، وهى بالكسر غالباً ، وقد يجمع بين يا ، إما (يا إما ... يا إما) . وذكر بعض الباحثين المعاصرين أن (يا) التى للتفصيل ترجع إلى أصل تركى(٣).

---

(١) خزانة الأدب ٣٥٨/١ ـ ٣٥٩ ومن هذه الشواهد : فيا الغلامان اللذان فرا ... من أجلك يا التى تيمت قلبي... ، أقول يااللهم يااللهما .

(٢) الكتاب لسيبويه ٣٢٠/١ـ٣٢١ ، ابن يعيش ٢٤/٢ .
وقول السودانيين (ياريت) بالراء بدل اللام لهجة معروفة فى مصر واليمن أما فى العراق فتنطق باللام . وقد روى أن قبائل قيس كثيراً ما تقلب اللام راء كما فى وجر بمعنى وجل ، رعل بمعنى امل (انظر لتمان [مجلة كلية الآداب ١٩٤٨] ص ١٢ .

(٣) الكنايات العامية لأحمد تيمور (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) ص ٩٠

واللهجة السودانية لا تستعملها ، وإنما تؤثر التركيب العربي مع فتح همزة (إما) في الغالب . يقولون: أما تمرقو أما تقعدو معانا (إما أن تخرجوا وإما أن تمكثوا معنا) ـ العدد أما جوز أما فرد(١). والمشهور في الفصحى كسر همزة إما التي للتفصيل . ولكن لغة تميم وقيس وأسد تفتح الهمزة ، ومن ذلك قول شاعرهم :

با ليتما أمُّنـا شالت نعامتها أما إلى جنة أما إلى نار (٢)

وفتح الهمزة هو لهجة أهل الشام كما وصفها ابن الحنبلي في القرن العاشر الهجري (٣) . ويحتمل أن تكون هذه الظاهرة قد نفذت إلى الشام والسودان من طريق القيسية .

١٥ ـ وفي اللهجات السودانية حصيلة ضخمة من المفردات التي انتهت إليها من مصادر عربيـة وغير عربية . وليس من هدف هذه الدارسة أن تقف عند الألفاظ التي تسربت إليها من مصادر غير عربية كالحامية والزنجية وغيرهما . ولابد أن تتضح نسبة الألفاظ الدخيلة في اللهجات العربية في السودان عندما يتاح للباحثين أن يضعوا لهذه اللهجات معجماً لغوياً شاملاً لمفرداتها . والذي يهمنا هنا هو الوقوف عند أمثلة

---

(١) وسمعت بجيرياً في الأبيض (في محكمة العمدة) يقول للعمدة (أما ابعتو البقر أما تجيبو ناس يشوفوها) إما أن ترسلوا البقر إلى هنا ، وإما أن تحضروا ناساً ليعاينوه) .

(٢) مميزات لغات ناصف ص ٢٠ ـ ٢١

(٣) بحر العوام ص ٣٥

من المفردات التى انتقلت إلى السودان من لهجات عربية أو أصول سامية. وفيما يلى نورد هذه الأمثلة مرتبة على حروف الهجاء :

بَكان : مكان. وبالباء فى صعيد مصر. لهجة عرفت قديماً فى بعض عشائر ربيعة وبنى أسد وطىء واليمن (١). ولهذا الإبدال أمثلة عديدة فى السودان مثل سناب (سنام الجمل) بتاع (متاع) صنب (صنم) (وانظر بنبر ، جبنه).

بَنْبَر : كرسى صغير يصنع من نسيج الخوص ونحوه لا مسند له. أصله فى اللغة الإثيوبية السامية (مَنبر) ونبر فى هذه اللغة بمعنى جلس. دخلت الفصحى قديماً من طريق اليمن . ولعلها انتقلت إلى السودان مباشرة من الحبشة أو اليمن. وفيها أبدلت الميم باء مع فتح الأول. على الأصل.

الجاهل : الطفل - لهجة يمنية شائعة إلى اليوم (٢).

جبد : مقلوب جذب بمعنى جذب. وتنسب (جبذ) إلى لغة تميم(٣) ، والغالب أنها انتقلت إلى السودان مع القيسية أو أهل اليمامة.

الجبَنَه : هى الجمَنَه فى لهجة اليمن الحديثة وهى إناء كالإبريق يكون من فخار يتخذ للقهوة، والكبيرة منها تسمى فى اليمن القَرْخ(٤).

---

(١) لتمان (مجلة كلية الآداب ١٩٤٨) ص ٨ ـ ٩

(٢) العرشى : بلوغ المرام ص ٤٢٢

(٣) لتمان (المقال المشار إليه) ص ٣٢

(٤) العرشى : بلوغ المرام ص ٤٢٢

الزَّمَّال : جماعة المنشدين الذين يطوفون فى أنحاء السودان وبأيديهم الطارات ينشدون مدائح الرسول (ص) . وفى اليمن يسمون النشيد الوطنى (الزامل) مشتق من الزُّملة بالضم وهى الرفقة والجماعة ، لأنهم يجتمعون جماعات لإنشاده (١) .

شقلب ، جقلب : صرع وقلب . وهى كذلك بالشين فى اللهجة المصرية . وفى الفعل الذى على وزن أفعل تقول الفصحى أفعلَ بالهمز ، والكنعانية تقول هفعل ، والبابلية والأوجريت تقول شفعل ، والعربية الجنوبية القديمة تقول سفعل (٢) . وتوجد بقايا من هذه الصيغ فى الفصحى نفسها كقولها ، سلقاه على ظهره أى ألقاه ، فهى بقية سفعل اليمنية القديمة ، وقولها : هراق دمه ، أى أراق ، وهى بقية هفعل الكنعانية ، وقولها عجوز شهربة وشيخ شهرب : هى بقية شفعل من هرم يهرم مع إبدال الميم باء . وكذلك تسربت هذه الصيغ فى اللهجات القديمة . وكلمة شقلب (وتنطق الشين جيما فى بعض الأحيان) هى شفعل من قلب يقلب .

صاقعة : مقلوب صاعقة ، و (صاقعة) لغة تميم (٣) . ولعلها

---

(١) نفسه ص ١٥٠

(٢) انظر بحثاً مفصلا فى هذا الموضوع فى مقالة د خليل نامى (وزن أفعل من الفعل المزيد) ص ٣٦ وما يليها من كتاب (إلى طه حسين فى عيد ميلاده السبعين (مصر ١٩٦٢)

(٣) لسان (مجلة كلية الآداب ١٩٤٨) ص ٣٠٢

انتقلت إلى السودان من أهل طريق اليمامة أو القيسية .

عات : أصلها « عاد » (يعنى بعد أو حتى الآن) ، ومعناها القديم (أيضاً)، فهى من عاد يعود، كما أن (أيضاً) من آض يئيض بمعنى عاد. والكلمة ترد فى العبرية (عوّد) بهذا المعنى . ولعلها كانت لهجة شمالية غربية قديمة . وفى السودان تنطق بالتاء بدلا من الدال أحياناً ، وهى بالدال فى صعيد مصر . وإبدال الدال تاء أمر شائع فى لهجات اليمن الحديثة (١) . وفى السودان يقولون كذلك فى عتود : عتوت (الجدى الرضيع) وعتّيت فى حالة التصغير .

العد : البئر ويجمع على أعداد . ولعله جاء من طريق القيسية أو أهل اليمامة (٢) .

القلّوبه : بقر البحر ، حيوان بين البقر والإبل يخرج من الماء فيعيث فى المزارع فساداً ويكثر بأعالى النيل . وأهل اليمن يسمون الذئب القلوب (٣) .

قمَز : أى قفز ووثب . لهجه قضاعية(٤)، أبدلوا الصاد زايا ،

---

(١) د. خليل نامى (مجلة كلية الآداب ١٩٤٨/١/١٠) ص ٧٣

(٢) قارن تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على ٣١١/٨

(٣) العربية فى السودان لعبد الله عبد الرحمن ص ١١٥

(٤) رابين ١٩٥ وتنسب إلى كلب القضاعية ولكنها فى الغالب كانت ظاهرة أعم من ذلك ، تضم لهجات أخرى من قضاعة وتسمى (الوسو) فى قول حاتم الطائى (لا أرسو ولا أعمد) .

وأصلها قمص : يقال قمص الفرس وغيره أى رفع يديه وطرحهما معاً ، قمصت به الدابة أى وثبت ونفرت . ويقال فى لهجة البطانة بالسودان (أقز) أى وثاب .

القول بمعنى الظن : كثير شائع فى لهجات السودان ، وهو لهجة قيسية نسبها نحاة الفصحى إلى بنى سليم .

ناس فلان : يقال فى السودان : قابلت ناس فلان ، يعنى أنه قابل فلانا ، وكلمة ناس تأتى زائدة فى هذا المقام . وهو استعمال قديم ورد فيه شواهد من الفصحى ينسب بعضها إلى بنى عامر بن صعصعة . غير أن الشواهد استخدمت (حى فلان) ، (حى فلانة) بدلا من ناس فلان وفلانة. يقول شاعر من بنى عامر : يا قُرَّ إن أباك حى خويلد ، يريد إن أباك خويلداً . وسمع الأخفش أعرابياً ينشد أبياتاً فقيل له : من قائل هذه الأبيات فقال : قالهن حى رباح ، أى قالهن رباح . وذكر البغدادى أن لفظ (حى) يأتى للتأكيد بمعنى ذاته وعينه، ولا يراد به القبيلة ، ويستوى فيه التذكير والتأنيث (١) .

{ تم الكتاب }

(١) خزانة ٢/ ٢١٠ ، ٢١١

مراجع الكتاب[1]

د. إبراهيم أنيس : اللهجات العربية (الطبعة الأولى ، طبعة ١٩٥٢)

أحمد تيمور : الكنايات العامية (مطبعة الاستقامة بمصر)

أغناطيوس غويدى: المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة (مصر ١٩٣٠)

الأهوانى (د. عبد العزيز) : «١» الزجل فى الأندلس (مصر ١٩٥٧)

«٢» مقال فى مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ٣ ج ٢ (نوفمبر ١٩٥٧) بعنوان : ألفاظ مغربية من كتاب اللخمى فى لحن العامة

أولندروف : Ullendorff, Semitic Languages of Ethiopia (1955)

برجشتراسر : التطور النحوى (١٩٢٩) نشر د. حمدى البكرى

البغدادى (عبد القادر): خزانة الأدب (السلفية ١٣٤٧ هـ)

البكرى (أبو عبيد) : «١» فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال لأبى عبيد القاسم بن سلام تحقيق د. عبد المجيد عابدين ، د. إحسان عباس (١٩٥٨)

«٢» معجم ما استعجم (تحقيق الأستاذ مصطفى السقا) (١٩٤٥)

---

(١) اكتفينا هنا بذكر ما تكررت الإشارة إليه من المراجع فى أثناء الكتاب.

ابن الجزرى : «١» النشر فى القراءات العشر (دمشق ١٣٤٥هـ)
«٢» غاية النهاية فى طبقات القراء (مصر ١٩٣٢) نشر برجشتراسر .

الجمانة فى إزالة الرطانة : لمؤلف مجهول عاش فى القرن التاسع الهجرى ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب (القاهرة ١٩٥٣) .

ابن جنى : الخصائص فى النحو ج ١ (مصر ١٩١٤)

ابن حزم الأندلسى : جمهرة أنساب العرب، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون (مصر ١٩٦٢)

حفنى ناصف : مميزات لغات العرب (مصر ١٩٥٧)

ابن الحنبلى (محمد بن ابراهيم) : بحر العوام فيما أصاب فيه العوام ، نشره عز الدين التنوخى (دمشق ١٩٣٧)

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت ١٩٥٦)

د. خليل نامى : مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة مايو ١٩٤٨، ١٩٥٣ (مقالتان : مفردات من تعز وتربة ذبحان ، اللهجات اليمنية الحديثه) .

رابين (كايم) C. Rabin, Ancient West-Arabian (London 1951)

سيبويه : الكتاب (بولاق ١٣١٧ هـ) جزآن

السيوطى (جلال الدين): المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، تحقيق جاد المولى وأبى الفضل ابراهيم والبجاوى (مصر ١٩٥٨)

طلب (د. عبد الحميد) : من لهجات الجزيرة (مخطوط)
عبدالله عبدالرحمن (الشيخ): العربية فى السودان (١٩٢٢)
عبد المجيد عابدين : البيان والإعراب للمقريزى ، مع دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل (١٩٦١)
العرشى (حسين بن أحمد): بلوغ المرام فى شرح مسك الختام نشر أنستاس الكرملى (مصر ١٩٣٩)
ابن فارس (أبو الحسين) : الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها (القاهرة ١٩١٠)
القلقشندى (أبو العباس): «١» نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب (نشر إبراهيم الأبيارى ، القاهرة ١٩٥٩) .
«٢» قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان (نشر الإبيارى ، مصر ١٩٦٣)
كحالة (عمر رضا) : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (دمشق ١٩٤٩) .
لقمان (أنور) : بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى - (مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، مايو ١٩٤٨)
ابن منظور : لسان العرب (ط بولاق ، ط بيروت)
الهمدانى (أبو محمد) : صفة جزيرة العرب ، نشر محمد بن عبد الله بن بليهد (مصر ١٩٥٣)
ابن يعيش : شرح المفصل ، ١٠ أجزاء (إدارة الطباعة المنيرية بمصر) .

كشاف اللغات واللهجات

كشاف أسماء الأشخاص والجماعات والمواضع

(الجماعة أو القبيلة = ج ، الموضع أو الإقليم = ض)

محتويات الكتاب

ملحوظة : وردت أخطاء مطبعية يسيرة فى بعض الصفحات ، لا تخفى على القارىء . وربما يلاحظ القارىء أن علامة الإمالة والتفخيم ترد مزحزحة قليلا عن موضعها فى بعض الألفاظ ، كما أن بعض العلامات لم يراع وضعه سهواً. وتعليقاً على العبارة الواردة فى آخر ص ٥٠ (فى جهات أسيوط كبنى رافع والحواتكة وغيرها) نقول : إن بنى رافع يقلبون الدال ضاداً فى الأمثلة المشار اليها إلا فى حالة مجاورة الراء فانها ترقق فى كثير من الأحيان .

